ANCORA IMPARO



العصور

السنة الرابعة

ديسمبر ١٩٢٩ اعرف نفسك بنفسك: فيثاغورس مجلد العدد ٢٨

بين الدين والعلم

بحث فى تاريخ الصراع بينهما فى العصور الوسطى أزاء
علوم الفلك والجغرافية والنشوء

مقدمة كتاب سيصدر عن دار العصور فى منتصف ديسمبر المقبل فى نيف وثلاثمائة صفحة مترجمة عن العلامة ، جون ديكسون وايت ، المؤلف الحجة فى هذا الموضوع بقلم اسماعيل مظهر محرر مجلة العصور .

« إنما نستنشق من الهواء بلا كد ، تلك الأفكار
التى تحطمت فى سبيلها القلوب الكبيرة » لوويل

° ° °

« الحقيقة بنت الزمان » باكون

° ° °

« وتعرفون الحق والحق يحرركم »
القديس يوحنا : اصحاح ٨ : ٣٢

بين الدين والعلم

العداء بين اللاهوت والعلم لا بين الدين والعلم — العلم موضوعي والدين ذاتي

مقدمة بقلم المترجم

١ — تمهيد

كثر ما علت الصيحة في هذه الأيام أن بين الدين والعلم عداء وأن في طبيعة الدين شيئاً يعاند طبيعة العلم أو بالعكس . والحقيقة أن هذا القول له مبرراته القديمة والحديثة . وله فوق ذلك وقائع يذكرها التاريخ ووقائع تقع تحت أعيننا . غير أن مجرد القول بأن بين الدين والعلم عداء وصراعاً ، ومجرد رواية الوقائع التاريخية أو حدوث وقائع في زماننا هذا تؤيد ما يرويه التاريخ ، ليست بدليل قاطع على أن في طبيعة الدين شيئاً يعاند طبيعة العلم أو أن في طبيعة العلم شيئاً يعاند طبيعة الدين . ولو أنك نظرت نظرة أولية في حالات الحضارة الحديثة لوقعت لأول وهلة على أشياء تدلك على صحة ما نذهب إليه . فان العلم يجرى تياره بأقصى ما جرى تيار من التقدم في كل العصور ، وتجد بجانبه روح الدين قائمة راسخة القواعد ، وانها لم تكن في عصر من العصور الماضية بأكثر ثباتاً في النفوس منها في عصرنا هذا . ثم أننا لا ننكر أنه مرت على المدنية عصور خفت فيها صوت الدين ليعلو صوت المادية حيناً ، ولكنا نجد مع هذا انه مهما خفت صوته في الخارج فان ثباته في النفوس لم يضعف ، وركيزته في اليقين لم تهن

ولو صح أن بين الدين والعلم عداء وصراعاً ، فكيف أن هذا الصراع الذى ظل قائماً بينهما خمسة وعشرين قرناً من الزمان لم ينته بان يصرع أحدهما الآخر ؟ وهل خمسة وعشرون قرناً غير كافية لان تنهى المعركة وتنصر فريقاً ؟

الحقيقة أن الصراع ليس قائماً بين العلم والدين . والحقيقة أن الدين والعلم كل منهما يستمد من ناحية من نواحي التكوين الفكرى في الانسان . لهذا ظل الدين باقياً وظل العلم ثابتاً . لان كلا منهما مظهر من مظاهر الفكر الانسانى . ولكن اذا اعتقدنا هذا فبأى شيء نعلل ذلك التاريخ الطويل الذى حاول فيه رؤساء الدين أن يخفتوا صوت العلم ، وبأى شيء سوف نعلل ذلك الصراع الذى سيحاول فيه رجال العلم أن يخفتوا صوت الدين في المستقبل ؟

اذا اعتقدنا أن الصراع لم يقم بين الدين على اعتبار أنه شيء مستمد من طبيعة الانسان ، وبين العلم على اعتبار أنه شيء مستمد من القوة العاقلة التي خص بها الحيوان الناطق ، واعتقدنا أن الصراع قام في الواقع بين اللاهوت المذهبي وبين العلم ، استطعنا أن نعلل حوادث التاريخ بل استطعنا أن نظهر على شيء مما سوف يقع في المستقبل .

***

٢ — الجمود ضروري للاجتماع مفيد للحضارة

الجماعات تشعر ولا تفكر . بل قيل بان رقي الجماعات من حيث الشعور والتفكير يقاس في الحقيقة بنسبة أضعف فرد من أفرادها تفكيراً وأعوجها شعوراً مضروباً في عدد الجماعة . ولكن الناظرين في حالات الاجتماع نسوا أن يذكروا بجانب هذا أن الجماعات جامدة صرفة كما هي شاعرة صرفة ، وأن جمودها هذا ضروري للاحتفاظ بتوازن خطاها التي تخطوها نحو الارتقاء في كل ضروبه وعلى اختلاف ألوانه

مر على الناظرين في حالات الاجتماع عشرون السنين وهم يقولون بما قال جوستاف لوبون ، ولم يمر بهم خاطر أن الجماعات كائنات جامدة بطيئة القبول لحالات التغير والنشوء . وإني لا أبعث هنا أن أول من عثرت له على قول في هذا الموضوع الخطير هو العلامة كارل بيرسون الانجليزي اذ يقول :

«إن ما نجد في مباحث داروين من نفوذ البصيرة وقوة الادراك وما عقبها من مؤلفات سبنسر ، تلك المؤلفات التي هي على قوتها وبالغ أثرها سوف تكون أقل ثباتاً وأسرع زوالا من مؤلفات داروين ، وما زودتنا به مباحث النشوء في الحياة الفردية والاجتماعية قد اضطرتنا الى تعديل أفكارنا القديمة وتقويمها ، وأخذت تقوى من دعائم مثلنا الادبية وتوسع من ميدانها ، ولكن ببطء تدرجي . ولا يجب أن يحزننا هذا البطء ولا أن يئسنا . لان من أقوى المؤثرات التي تحفظ الثبات الاجتماعي وتحول دون تحلله ، تلك الصفة التي نبغضها ، صفة الجمود على القديم ، لا بل نقول بان العداء الصارخ الذي تقابل به الجماعات الانسانية كل التفكرات الجديدة ، لمن أخص تلك المؤثرات ، وان هذه الصفات هي بمثابة الكور المنظفة نيرانه ، والذي بدونه لا نستطيع أن نفصل بين المعدن الصحيح والفضلات الزائفة ، وهي التي تحمي الجسم الاجتماعي من أن يترك معرضا لتغيرات تجريبية جنائية ، قد تكون غير مفيدة آنا ، أو بالغة أقصى الضرر آنا آخر

والظاهر أن بين بناء العالم المادى وبين تكوين الجماعات الانسانية أوجهامن التشابه تمثلها عناصر لازمة لحفظ النظام فى كليهما : ففى الجوهر الفرد كهارب ايجابية وأخرى سلبية ، وفى الدقائق المادية قوتا جذب ودفع . وفى الاجتماع تقدم وجمود ، وفى الحياة موت هو لزام لوجودها . وعلى هذا النمط نجد أن الصفات السلبية التى نبغضها فى المجتمع هى فى الواقع أشياء لازمة للمحافظة على كيانه باعتباره اجتماعا انسانيا تنعكس على صفحته صور الصفات الفردية والاجتماعية .

خذ بين يديك قطعة من المادة اللينة واضغطها فانها تأخذ شكلا ما ، ثم اضغطها ثانية فانها تتبدل من شكلها الاول شكلا آخر . وهكذا فان كل ضغطة تصورها فى صورة جديدة . وتمثل بعد هذا أن المجتمع الانسانى فيه من صفات الليونة ما فى هذه المادة ، وانه فقد كل صفات الجمود والمحافظة على القديم ، ألست ترى أن ذلك يكون منتجا لفوضى عظيمة فى نظام الاشياء الانسانية . وان تقبل كل جديد ليهدم ماقبله ، وليهدمه مابعده ، يكون فى هذه الحالة افسادا لبناء المجتمع وتحطيما للنظامات التى تقوم عليها المدنية ؟

عدد من مذاهب الفلسفة العملية ما شئت أن تعدد ، وارجع الى مذهب سقراط ثم الكلبيين ثم السيريين ثم الى مذهب الابيقوريين ثم الى الرواقيين ؛ واعدل عن هذا الى تضارب جهات الفكر والمعتقد ، وتصور بعد هذا أن المجتمع الانسانى كان فيه من الصفات ماتحتمل تقبل كل هذا ثم رفضه على تالى الاجيال وعلى تقارب الفترات التى كانت تظهر فيها المذاهب والآراء الفلسفية واحدا تلو الآخر ، فهل كنت تجد فى بناء المجتمع ماتجد فيه الآن من الثبات ؟ وهل كنت تجد أن للحق ماله الآن من صفات البقاء والخلود ؟

وكذلك تجد الحال فى السياسة والدين واللغة وفى كل ماتقوم عليه الحضارة من الصفات الاجتماعية . وعلى هذا تجد أن التقدم والارتقاء قوة ايجابية تعضدها ، وان كانت تقاومها ، قوة سلبية هى الجمود والمحافظة على القديم ، كما لو كان المجتمع الانسانى دقيقة من المادة تجذب جواهرها بعضها بعضا ، فى حين أنها تتدافع . وهذا لزام لبقائها دقيقة مادية عاملة ، كما أن الارتقاء والجمود صفتان لازمتان لبقاء المجتمع الانسانى مجتمعا مستكملا لصفات النشوء والارتقاء .

لهذا لا يجب أن تنظر فى الجامدين نظرة من يعتقد أنهم رجعيون ، لان الرجعى هو الذى ينكص الى الخطأ على الرغم من أنه يعلم أنه سائر فى سبيل الحق والصواب . أما الجامدون فهم القوة السلبية التى تحفظ على الجماعات نصيبها من التوازن اللازم لثباتها ، وخطوها نحو الارتقاء فى خطاً متعادلة بطيئة ، ولكنها تدرجية .

* * *

٣ — مافوق العقل والعقل

بدأ الفيلسوف هربرت سبنسر كتابه مبادىء علم النظام الاجتماعى يبحث فى تطور مابعد الآليات ، فقال بان التطور على ثلاثة أوضاع . الاول التطور غير العضوى ، وهو يتناول بناء السماوات والسيار الارضى ، والثانى التطور العضوى وهو يتناول الظاهرات الطبيعية التى نشاهدها حشو الطبيعة الحية وتراكيبها من نبات وحيوان على اختلاف درجاتها ومراتبها ، ثم الظاهرات الخاصة التى تعرف فى مباحث العلوم بالظاهرات النفسية — السيكولوجية — وهى التى تختص بها الصور الحية التى بلغت من الترقى حدا اصبح بطبيعة التطور مجالا لتلك الظاهرات . والثالث تطور ما بعد الآليات أو ما بعد العضويات وهو فى الواقع بلوغ الحالة الاجتماعية واقتسام العمل بين أفراد الجماعة .

فاذا أردنا أن ننظر فى هذا المبدأ نظرة تحليل نطبقها على موضوعنا هذا ، اعتقدنا أن تطور مابعد الآليات هى آخر الخطى النشوئية التى وصلت اليها جماعات الحيوان من الرقى . ولقد شاركها الانسان فى كل هذا وبلغ الى ارقى ما يمكن أن يبلغ حيوان من تطور ما بعد الآليات . فباذا يمتاز على بقية الخلق ؟ يمتاز بانه يستمد مما بعد عقليته قوة تستعين بها على قوته العاقلة ليخضعها دائما لصالح الكل الاجتماعى

إن الفرد والجماعة لايتفقان ، بل هما كائنان متضادان . ولكل منهما طبيعة تختلف عن طبيعة الآخر . يدلك على هذا أن العديد الاكبر من الافراد التى تعيش فى زمان ما ، لاتميز تطور الجماعة التى تلحق بها شيئاً من الانتباه لمظاهرها ولا تحاول أن تصرفها الى طريق الخير والسلام . فالفرد يتطور بتطور الجماعة ، خضوعا لروحها ، من غير أن يدرك من هذا التطور ، حين وقوعه ، شيئا . والجماعة ذاتها تساق الى التطور

من غير أن تحس بشيء منه ، حتى يظهر الزمان فرقا بين حالة الجماعة فى زمانين مختلفين تدركه الاجيال المستقبلة .

وخضوع الفرد لشعور الجماعة يبعده عن عقليته المستقلة . فيجرفه تيار الشعور العام الى حيث يراد به ، الى الخطأ أو الى الصواب ، الى الشر أو الى الخير ، حسب المتجه الذي يملك شعور الكل الاجتماعي . والشجار القائم بين شعور الجماعة وعقلية الافراد كون التاريخ الانسانى برمته . فما من حادث من حوادث الحروب ، أو مظهر من مظاهر الثورات الاجتماعية ، أو قيام المدنيات المختلفة ، الا وتجد تلك الروح متجلية فيه تسوق امامها الانسانية سوقا الى حيث يريد بها مقدار ما أثر فيها شعور بكارثة قومية أو احساس بعزة النفس أو خيال الدفاع عن شيء اكثر ما كان موهوما لا واقعا بالفعل .

ولكن باى شيء استطاع الانسان أن يحتفظ بخضوع عقلية الفرد لشعور الجماعة ؟ هنالك فى معتقداته الدينية وجد الانسان القوة التى استقوى بها على عقليته الفردية فاخضعها لقوة احساسه بالشريعة الادبية . أما وظيفة تلك المعتقدات فتجهيزها الفرد بقوة نفسية تسوقه الى الخضوع لمجموعة من آداب السلوك ومبادىء من الاخلاق تبقى عقليته واقعة تحت الاحساس بواجباته الادبية ، أى انها تخضع العقلية الانسانية لقوة مستمدة مما بعد العقلية . وتلك ظاهرة لازمت قيام المدنيات فى كل عصر من عصور التاريخ .

يقول الاستاذ بنيامين كيد صاحب كتاب التطور الاجتماعي المعروف :

« ان الروح الحربية التى تملكت زمام المدنية فى عصور الوثنية هي التى شكلت تاريخ الغرب برمته ، فخرجت الشعوب الغربية من تلك المعامع : معامع التدمير والتخريب ، بمدنية هي أغرب ماوصل اليه الانسان فى تاريخ الدنيا . وما من نتاج من ثمار هذه المدنية ، وما من نظام من نظاماتها الاجتماعية أو شكل من أشكالها ، الا وتجد للروح القديم أثرا فيه كبيرا . يرجع ذلك إلى اعتقاد ثابت راسخ فى روح الشعوب منذ نشأتها تحت أن حيازة القوة والانتفاع بثمراتها هو المبدأ الذى يجب أن تعمد اليه الامم اذاماشاءت أنه تحتفظ بكيانها . غير أن هذا الكائن الناطق الذى خرج من

جوف الازمان الأولى وبيده آلات الحرب والتخريب ، كان ذا عقيدة دينية ، عقيدة تخالف فى أسسها ومبحثها الذى ترتكز عليه فى طبيعة الرغبات الانسانية ، نزعته الى القوة من أية طريق أتاها وبأية من الوسائل التى تذرع اليها . وظلت نزعة الانسان الى القوة تحارب تلك العقيدة الموروثة حربا عوانا شهرها على ذلك المعتقد نزعات الانسان وبواعث انفعالاته طوال القرون الاولى . ولا يزال الشجار قائما حتى الآن . وانك ان قلبت تاريخ الانسان لتجلى لك مقدار ماجاهد ذلك الحيوان الناطق المفكر فى سبيل التخلص من قيود تلك الوراثة الدينية التى خرج بها من حياته الاولى مستعينا بها على هدم ذلك المعتقد بكل ماأوتى من قوة الفلسفة والعقل ، فكم زجت تلك النزعة بالانسان فى غمرات حروب تهدم بها ماأقام السلم من صروح العمران ، ولم تمزق بها مارأبت شريعة الآداب من صدوع الانسانية »

تلك روح خالدة فى الجماعات قد تتغير مظاهرها ، وجوهرها ثابت فى الزمان ، مرتكز على طبيعة الانسان المفكر المعتقد المدرك لحقيقة الشريعة الادبية ، المحكوم بوازع مما فوق عقليته يخضع عقله لحاجات الاجتماع . تلك الصفات التى ترتكز عليها أصول المدنية .

عبثا ماحاول بعض الفلاسفة أن يقاوموا تلك الروح بمذهب فلسفى فى النفعية ، يستهوى الفرد ليخرج عن شعور الجماعة وروحها . كثر فى أوروبا من حاول ذلك فى أواخر القرن الفارط ، ونشر بعض المشتغلين بالآداب كتبا فى «دين الطبيعة » مالبثت أن قتلتها روح الجماعات شأنها فى كل شيء يصد طريقها الشعورى الصرف . حاول هؤلاء أن يجعلوا العقل حد الدين ، فوقع الانسان فى مأزق من مآزق البعد عن الشريعة الادبية كاد يتداعى معه أساس المدنية . ولا يزال بعض المفكرين يتابعون ذلك الرأى ، قائلين بأن دين المستقبل سوف يكون معتقدا بعيدا عما تبعثه فى أهل هذا العصر معتقدات مابعد العقلية البشرية . حاول هؤلاء أن يجدوا فى عقل الانسان وحده هاديا ومرشدا أمينا بصفته فرداً صالحا من مجموع انسانى ، يختط له خطة من السلوك والاخلاق جديرة بأن تحفظ نظام الهيئة البشرية التى يجب أن تقوم على أساس من الاحساس الادبى أخفقوا سعيا وضلوا سبيلا . لان الطبيعة لم تحب الانسان بشيء من هذا . رجع الناس بعد ذلك مؤمنين بأن وازع مابعد العقلية ، أول عنصر من عناصر المعتقد الدينى

بل تراثه ، وأنه الضابط الذى يضبط علاقة الفرد بالجماعة فى كل حالة من الحالات وتحت تأثير أى ظرف من الظروف

على أنك تجد أن فى النظام الاجتماعى قوتين متضادتين تتنازعان بقاءه : قوة مفرقة ، وقوة مؤلفة . فالقوة المفرقة يمثلها عقل الفرد الانانى المحب لذاته والقوة المؤلفة يمثلها معتقد دينى يستمد مما فوق عقلية الفرد . وتنحصر وظيفته فى أن يحتفظ فى تطور الجماعات باخضاع مصالح الافراد ومطامعهم لصالح الشكل الاجتماعى ، وأن الدين فى طبيعته ضرب من ضروب المعتقد يهيء الانسان بوازع مما فوق عقليته يضبط سلوكه نحو المجموع .

فاذا أيقنا بعد كل هذا ان الانسان كائن معتقد كما هو مجتمع ، وأن الدين من بين كل معتقداته هو الذى يهيئه بوازع مما فوق عقليته ، استطعنا أن ندرك كيف أن الخصومة الموهومة بين الدين والعلم مستحيلة ، والا فلو كان بين الدين والعلم خصومة وعداء لتحطمت قواعد العلم قبل أن يهتز ركن واحد من أركان الدين .

الدين فى النفس الانسانية ثابت لا تتغير ماهيته وان تغيرت مظاهره . وهو فوق ذلك صفة غريزية تلازم طبيعة الانسان مادام قد تكون ليكون انسانا فيه من التكوين الطبيعى ما يجعل للدين ركيزة أثبت فى نفسه من ركيزة العلم والفلسفة . وعلى هذا لا يمكن أن يكون بين الدين والعلم تجالد وصراع ، لانهما على الرغم من الفوارق الطبيعية الكائنة بينهما والتى لا تجعل للصراع بينهما مجالا . يستمدان من ناحيتين متباعدتين من نواحى التكوين الانسانى

٤ — الفرق بين العلم والفلسفة والدين

ضرورات الحالة الاجتماعية كثيرة متباينة ، وهى على كثرتها وتباينها بل وانتشته فقل تناظرها ، انما تستمد من طبيعة الكائن المجتمع وليس من هذه الضرورات ما ينزل عن حد الضرورة ليكون أكثر ضرورة أو أقل ضرورة من غيره . وليس منها ما هو أقرب الى الكماليات من الحاجيات ، فان هذه الضرورات كلها تنزل منزلة واحدة من حاجة المجتمع اليها .

وهى فوق ذلك مستمدة من صفات غريزية فى الكائن المجتمع تتشكل فى صور

مختلفة بمقتضى اجتماعه ليكون كلا اجتماعيا ، أو كائنا اجتماعيا كما يقول سبنسر . ومن أول هذه الضرورات أن يكون فى الانسان صفات نفسية وأخرى عقلية . وهذه الصفات ، بصرف النظر عن مظاهرها الخارجية وباعتبار أنها أشياء ثابتة فى تضاعيف الفطرة ، لايمكن أن يكون بين ماتنتج تضارب وتجالد ، أو عداء وصراع . قد يكون بين بعض ما تنتج من الحالات الاجتماعية جمود ، يناظره فى أخرى نزعة الى التقدم والارتقاء . وقد يكون فى ناحية منها حركة ، فى حين أن ناحية أخرى تتطلب الهوادة والسكون النسبي لتعادل الكفة وتحدث الثبات الاجتماعي الذى هو أول صفة من الصفات المطلوبة فى جماعة انسانية يصح أن يقال فيها انها متحضرة ، وأنها تقيم عمرانا :

فالعلم مثلا صفة عقلية أصبحت الآن ضرورة من ضرورات المجتمع الحديث وان كان العقل وهو تبعها القياس ، صفة من الصفات الاصلية فى حياة الانسان الاجتماعية ، بل وفى غيره من كثير من الحيوانات الاخرى . وكذلك الدين فهو صفة تستمد مما فوق العقلية البشرية ليسد فراغا فى الاجتماع لايسده العقل . وبين العلم والدين فجوة لا تسدها الا الفلسفة ؛ فهذه الدرجات الثلاث أو هذه الصفات الثلاث : صفة أن الانسان يعلم ، وصفة أنه يتدين ، وصفة أنه يتفلسف ليوفق بين طرفى العقل وما بعد العقل ، صفات فطرية فى الانسان أصبحت بطبيعته ضرورات اجتماعية ، ولايمكن أن يكون بين شيء منها عداء وصراع ، والا أصبح الانسان عبارة عن مجموعة صفات متناقضة وهيكل من الفوضى المتحركة . هى فى الواقع متناسقة متكاملة كالقضية المنطقية التى تتكون من طرفين ووسط ، موضوع ومحمول وحد وسط ، وهى فوق ذلك لاتنتج انتاجا صحيحاً الا إذا صحت مقدماتها . هذا مثل الانسان فى العلم والفلسفة والدين . وكلها ضرورات لابد منها ، وان استمدت من نواح مختلفة من نواحى الفطرة الانسانية . هي ضرورات اجتماعية من ناحية أن الانسان مجتمع ، وضرورات فطرية من ناحية أن الانسان كون على ما فيه غير مخير هواه

على أننا لا نترك الموضوع عند هذا الحد فلابد من أن نظهر أن هذه المنتجات لا تتخالط مطلقا وبذلك لاتتعادى ولا تتصارع

يقال ان العلم ذو صفات ثلاث ، يقال انه تام ، ايجابى ، موضوعى ، وأن الفرق بينه وبين صور الفكر الاخرى أن هذه غير تامة ، مبهمة وذاتية . إن العلم يؤدى للعقل

نواتجه أو فكراته فى اصطلاحات محدودة بالتعريف ، مباشرة المعنى ، بينما تجد أن هنالك عالما فى الادب والنواتج العقلية غير محدود بالتعريف ، رمزى فى قوامه ، غير مباشر المعنى والتعبير . إن العلم يسلم بأن ليس له من دعامة الادعامة المعرفة ، على أن تكون بينة جلية تامة الوضع . لهذا تجده مناظرا فى طبيعته لنواحى الفكر الاخرى المرتكزة على الآراء والاعتقاد والايمان . ولا يغيب عنا أن هذه المصطلحات اما أن تشير إلى الاسلوب الذى ينتحى فى البحث و اما أن تشير الى موضوع البحث ذاته . أما العلم فيفخر بان له اسلوبا ثابتا لايحتمل الجدل ولا يسع التورط فى المسائل الخلافية النظرية أما بقية فروع الفكر فاما أن تستعير أساليبها من الاسلوب العلمى و إما أن تطبق أساليب متغايرة لم يجمع عليها الاجماع كله ، و إما أن تأبى الخضوع لاسلوب ما على وجه عام (١) فالعلم يتناول كل الاشياء أو الموضوعات التى تطرأ على أذهان السواد الاعظم من الناس أو تمس مصالحهم وهى موضوعات قد يبلغ الى الاحاطة بها كثير من الناس . ولهذا يفخر العلم دائما بان مشاهداته واستنتاجاته خاضعة دائما للتحقيق والبحث آنا بعد آن . لذلك تجد أن شطرا عظيما من المشاهدات والاستنتاجات العلمية قد تؤخذ فى أكثر الاحيان على انها حقائق تامة أجمع على صحتها وثباتها ، فيمضى الذين لا يأنسون من أنفسهم القدرة على تمحيصها و بحثها ، أو الذين تقعد بهم الهمة ، دون فحص براهينها ، قانعين بانها أشياء بديهية ثابتة لامبدل لها . غير أن هنالك أشياء كثيرة تقوم فى عقل كل فرد من الافراد ، شخصية فى طبيعتها ذاتية فى مبعثها ، ولهذه الاشياء فى أنفسنا من الشأن والخطر ما يجعلها من مطالب الحياة وحاجاتها . وأن هذه الأشياء هى المادة الحقيقية التى يتركب منها الفكر الخارج عن ميدان العلم . وهى فى جوهرها ومظهرها مناظرة للعلم اليقينى . وفى هذا الشطر من الفكر لا يستطيع شخص بذاته أن يقوم بعمل ينتفع به الكثيرون على نفس الطريقة التى تحتذى فى العلم . فالاخذ بالبرهان فى ذلك الشطر مستحيل ، والاجماع على شىء فيه لاينضم تحت لوائه الاعددا قليلا من الناس . فالأقوال والنظريات لايمكن أن تأخذ فى هذا الشطر على انها حقائق ضرورية لاتحتمل الجدل ، كما هى الحال فى العلم ، بل أن كل شخص لابد من أن يجتاز فيها السبيل

---

(١) راجع الاستاذ جون تيودور مرتز فى تاريخ الفكر الاوربى فى القرن التاسع عشر

الذي اجتازه الذين تقدموه ، قبل أن يأنس في نفسه القدرة على قبول ما ألقي إليه والانتفاع بثمراته.

إن الصفة الوحيدة التي تلازم هذا الشطر من الفكر انه فردي ذاتي ، في حين أن العلم مهما كانت صبغته ومهما كان أصله ، عام موضوعي ، أي أنه غير ذاتي ، يرجع الى الموضوع ، لا الى الذات التي تفكر في الموضوع وتفحص عنه . فاذا مثلت للفكر بشيء ذي طرفين متناظرين ألفيت أن العلم الرياضي في أحد طرفي الفكر وان الدين في الطرف الآخر . وأنك لتجد أن الاتفاق في الطرف الاول صفة ملازمة ، فالاختلاف والتنابذ في الطرف الثاني . تلحظ أن وحدة الفكر صفة ثابتة في الطرف الاول ، في حين أنك لن تقع لها على ظل في الطرف الثاني . انها لم تعرف في الدين ولن تعرف . وانك اذا أردت أن تعبر عن ذلك بالكلام الدارج استطعت أن تقول إن المعرفة والتحقيق لزام الاول ، وأن الايمان والاعتقاد لزام الثاني . على انك فيما بين الطرفين تقع على فراغ كبير يفصل بينهما . إن هذا الفراغ يشغله في الفكر صور تصل بين الطرفين فتبرز حيناً في هيكل من المعرفة ، وحيناً في مثال من الايمان ، فيختلط فيها قليل من الاشياء المحققة بكثير من الايمان والاعتقاد المبهم . تلك المسافة الكبيرة ، وهذه المفازة المترامية الاطراف ، والتي تتوارد عليها صور التغيير والاختلاف سريعة متعاقبة ، هي مكمن الفلسفة الحقيقي ومنبتها الاصلي . الفلسفة التي تتناول الحقائق ولا تأنف من الايمان . الفلسفة أصل المعرفة ، ومصدر الاعتقاد واليقين . الفلسفة حلقة الوصل الواقعة بين الطرفين : طرف العلم وطرف الدين . (١)

بعد هذا التحليل الدقيق نتساءل . هل يمكن للانسان أن يكون بلا عقل ليكون بلا علم ؟ وهل يمكن أن يكون بلا وازع من فوق عقليته ليكون بلا دين ؟ وهل يمكن أن يكون بلا تأمل في الناحيتين ليكون بلا فلسفة ؟ هذا مستحيل . مستحيل على الانسان أن يلغي عقله ، أو يلغي وازع مافوق عقليته ، أو يلغي تأمله في حقائق الاشياء .

ثم نتساءل ثانية هل يمكن أن يقوم بين هذه الضرورات العقلية والنفسية صراع وتجالد ، بحيث يمكن أن يقوم بجانب هذا الصراع الشديد حياة اجتماعية لا تجرى فيها الدماء ، ولا يعبث فيها بأخص الصفات الانسانية ؟ أما دليلنا الملموس على ان الصراع

---

(١) راجع كتاب نزعة الفكر الاوروبي في القرن التاسع عشر

بين الدين والعلم شيء موهوم ، فبقاء بناء الاجتماع الانساني بما فيه من مختلف الصور الناتجة عن العقل والشعور ، وثباته و بعده عن التناقض والاضطراب

ه — الصراع بين اللاهوت والعلم لا بين الدين والعلم

اذا صح لدينا أن لا نزاع بين الدين والعلم فما هو السبب اذن في تلك الفجائع التي يرويها التاريخ خلال القرون الوسطى ، بل وفي الأزمان القديمة ، وما هو الباعث على تلك الحروب التي قامت بين العلماء والفلاسفة من ناحية ، و بين من نسميهم رؤساء الدين من ناحية أخرى ؟

اذا كانت حقائق التحليل النفسي والعقلي تدلنا على أنه لا يمكن أن يقوم صراع بين الدين والعلم ، لأن هذا مستحيل فطرة واجتماعا ، وقفنا أمام وقائع التاريخ ، وعلى الاخص ، تاريخ النشوء العقلي والفكري ، نلتمس أسبابا نعزو اليها البواعث التي كونت تلك العناصر التي انطوت عليها صفحات الماضي وكانت سببا في تكوين محاكم التفتيش في القرون الوسطى ، تحرق وتقتل تحت عنوان الهرطقة والخروج على الدين كل من نزع الى جديد في العلم وكل من كشف عن حقيقة من حقائق الطبيعة

لم تبلغ الخصومة بين العلم واللاهوت من الشدة ما بلغته في القرون الوسطى وبين أحضان النصرانية . فانك لا تعثر في تاريخ الاديان كلها على تاريخ يشابه تاريخ مذاهب اللاهوت النصراني في قيامها في وجه العلم أزمانا طوالا ، بل قرونا متعاقبة . والسبب في هذا أنه قامت لدى اللاهوتيين فكرة ثابتة في أن العلم لا يجب مطلقا أن يشير بشيء فيه أقل مخالفة لظاهر ما جاءت به الاسفار المقدسة والمتون ورسائل الحواريين . ولست تعلم لماذا يكون هذا لزاما على العلماء والفلاسفة ، مع أن طبيعة الدين لا تتسع لهذا ولا تدعو اليه . فان وظيفة الدين في الواقع اجتماعية ارشادية ، لا تعليمية . ولكن شاءت عقول اللاهوتيين أن تكون وظيفته تعليمية . لهذا نشأ ما يسمونه الخصومة بين الدين والعلم ، وما هي في الواقع الا خصومة بين اللاهوت والعلم . وكم من لاهوتي ظهر خلال القرون الوسطى وحاول أن يثبت أن الدين لا شأن له بالعلم وأن وظيفته تنحصر في أن يعرف الناس طريقة الخلاص في الآخرة ، لا حركات الاجرام السماوية أو تكوين الارض كيف يكون !! ولكن المذاهب الشائعة في اللاهوت ، ومن ورائها محاكم التفتيش ، لم تكن تترك لامثال هؤلاء مجالا . وزاد الطين بلة أن اللاهوتيين ومن

ورائهم الكنيسة ، وعلى رأسها البابوات المعصومون عن الخطأ كانت قد زكت المذاهب اللاهوتية التي ذاعت في تفسير الانجيل والتوراة باجازتها حينا بعد حين، فأصبحت تلك التفاسير في الواقع مقدسة كاصل المتون نفسها. لهذا كانت ثورة اللاهوت في القرون الوسطى حامية ونارها محرقة تلظى .

* * *

٦ — هل بين الدين والعلم عداء حقيقي أو مجازي

يخيل الى الذين يقولون بأن بين الدين والعلم عداء ، وان بينهما صراعاً وجلاداً يقوم على شيء في طبيعة الدين يعاند طبيعة العلم ، أو أن في طبيعة العلم شيئاً يعاند طبيعة الدين ، أن الانسان عبارة عن كائن كل مافيه عقل صرف وتفكير محض في حين أن ما كشف عنه علم الاجتماع الانساني مؤيداً بمباحث العلماء الاعلام في فروع علم السيكولوجيا ، قد أثبت بما لا سبيل الى ادحاضه أن الانسان عبارة عن مجموعة مشاعر حادة قوية تركبها نزعة غريزية عما فوق العقل تحكم رابطة بما تسميه الجماعة ، أو المجتمع البشري .

يقول ديكارت « أنا أفكر اذن أنا كائن » . والحقيقة أن الوجود والحياة أولى الحالات التي يقوم عليها أساس الجماعات فلنفكر قليلا في حقيقة الحياة ذاتها وعلى الاخص في الانسان المفكر المجتمع لنرى ان كان حبنا للحياة ذاتها شيء يقودنا اليه العقل أو الشعور والخضوع لما بعد العقلية

اذا وازن انسان بين ماينعم به في هذه الحياة من سعادة وبين مايتزل به من ملمات فادحات ، فلا شك في أن كفة آلامه ترجح كفة سعادته على حسب مايصور له عقله اضعافا . فان مطاليب الحياة والسعي الجاد وراء ماتطلب من ضرورات لا تترك للفرد مجالا للمتعة بما يصور له عقله أنه متعة حقيقية . واذا نظر فيما يحيط به من الحالات الطبيعية ألفى ان الطبيعة التي تحيط به والتي يعيش بين أحضانها خاضعاً لنواميسها انما تناصره أشد العداء ، ويقابلها بأشد المقاومة . فهو في الواقع في حرب مستمرة مع العناصر التي تؤلف كيانه . فالجراثيم القاتلة والوحوش الضارية وتقلبات الطقس وتأثيرات المناخ والتناحر على الحياة والانتخاب الطبيعي وابقاء الاصلح بل وكل ماتتطلب نظامات الطبيعة من جهود يبذلها الانسان ليعيش ويحيا حياة طبيعية ، هي بذاتها متاعب

لاتجعل للحياة من قيمة حقيقية اذا نظر الانسان فيها بعين العقل وحده وجرد نفسه من نوازع مافوق عقليته . ثم فكر قليلا بعد هذا فى هذه الحياة وسائل نفسك لماذا وجدت ، ولاى غرض خلقت ، وما هو القصد من هذه الحياة التي أحياها ، ومن ذلك الموت الذى انا بالغه يوما من الايام ؟ وانظر بعد ذلك هل ترضى عن هذه الحياة وهل يكون وجودك فيها ممكناً ان تركت نزعات العقل تحتكم فيك وحدها ، أو ان لجأت اليها تلتمس هدايتها للخروج من هذه الظلمات .

ان العقل يوحى اليك بأن تفارق هذه الحياة فلافائدة منها ، وأنت فوق ذلك عاجز عن أن تعرف سر وجودك فيها ! انها عبث فى عبث وبدء ونهاية لاخلود وراءها ، ولا حياة أخرى تثاب فيها على طيباتك اوتعاقب فيها على سيئاتك . يهمس العقل فى روعك دائما بأن هذه الحياة التى تحياها وتلك المتاعب التى تتحملها والمشاق التى تذللها انما تعمل فيها لغيرك لالنفسك وتحمل كدورتها للاجيال المستقبلة التى ليس لك من علاقة بها ولاتعرف ان كانت تستحق منك ماتضحى به من صحة وعافية .

أليس هذا وحي العقل ؟ أليست هذه الاشياء هي أول مايوحي اليك به العقل الصرف المجرد عن المشاعر وقوامس مافوق العقلية ! إذن نستطيع أن نقول ان بين العقل والوجود كله صراعا يحكم أننا كائنات لانعرف لماذا وجدنا ولا نفقه لوجودنا غرضاً يختفي وراء مظاهر هذه الحياة .

ثم ارجع بعد هذا الى نظام الزوجية ، وجرد نفسك من المشاعر برهة واحدة لتحكم العقل فى هذا النظام الذى لولاه لما كان للاجتماع الانسانى على مانراه اليوم من أثر .

لماذا يقسر الرجل المرأة على أن تكون له وحده ولماذا تغار المرأة على الرجل ان هو جرى وراء أخرى ؟ ولاى شيء يحتمل الرجل والمرأة كلاهما تلك الواجبات ولماذا يلزمان تلك الحدود التي وضعتها الشرائع والقوانين وفى فناء الاباحة ماهو أرخى لعنانهما وأقرب لما يرضى نزعتهما العقلية . يسعى الرجل ويكد كل كد ليعول امرأة اراد ، ولايعرف لماذا ، أن يختص بها وتختص به ، وأن يقوم حفيظا عليها زعيما بمطالبها فى الحياة . يحتمل مرارة العيش ويواجه مصاعب الحياة بلذاذة وصبر

فى سبيلها وفى سبيل شىء لايعرفه ، سائل نفسك لماذا أنت تخضع لنظام الزوجية ، ولماذا تجد فيه من السعادة مع مرارة السعي ، مالاتجد مع راحة العقل واطمئنانه الى حياة خلو من المسئوليات والواجبات ، وانت لاتعرف ان كنت تعيش فى نظام اساسه العقل الصرف ام فى نظام لاتعرف فى الواقع لماذا تخضع له ان حكمت فيه العقل واردت ان تستوحيه ليهديك فى ظلمات ماأنت فيه من نظام ؟

ثم ارجع الى المرأة وحدها وتصور لحظة بنت حواء اذا نبذتها الطبيعة فى صحراء العقم وتركتها بلاعقب ، وانظر كيف انها تغضب على الطبيعة وعلى الحياة وعلى الاحياء ، لان القدر شاءلها أن تكون عاقرا غير ولود .

وصور بجانب هذه الصفة المثالية متاعب المرأة فى تربية أولادها والقيام عليهم ، ومانعرض له حياتها من المخاطر فى الحمل والوضع ، وتصور كيف انها تنسى كل آلامها وتغيب عن عقلها كل متاعبها بمجرد ان تضم طفلها الى صدرها ضمة تفيض معها كل معانى الحياة ، لا كل حقائقها ، فتغمرها فى بحر لجى من المشاعر يموت معه العقل ويحيا الوجدان

ثم انظر فى حياة المرأة فى مفصلاتها ، فانك تجد انها انما تعيش للمستقبل الصرف الذى لايغشاه من التطلع الى الحاضر غاشية . كل مافيها من مشاعر ، وكل ماتأتيه من أعمال ، وكل ماتحتمله من متاعب فى هذه الحياة انما تتوجه به شطر المستقبل والاجيال التى سوف يتمخض عنها القدر فى الايام الآتية . هذه هى أكبر فضائل المرأة الغريزية . تعيش لغيرها لا لنفسها ، تعيش لزوجها ولاولادها وتضحى فى سبيلهم كل شىء تملكه أولاتملكه الا مجازا ، لتضع للمستقبل عمادا يقوم عليه ، وأساسا يرتفع من فوقه بناؤه المشمخر .

جرد المرأة من هذه المشاعر ، وخلص نفسيتها من قواسر مافوق العقلية التى تقوم عليها كل هذه الصفات ، وحكم العقل فيها وحده ، أو اجعلها تحكم العقل فى كل ماتعمل أو تأتى من أفعال ، وانظر بعد ذلك كيف يكون المجتمع اذا زادت فيه نزعات المرأة العقلية وكيف يتهدم الحب وتموت الشفقة ، وتنتفى الرحمة ، وكيف تندك الشرائع السماوية ، وتتبدد سلطة القوانين الوضعية ؟ وماذا يبقى بعد كل هذا ؟ هل يبقى من المجتمع الانسانى عين أو أثر ؟

وهنا أيضاً نستطيع أن نقول بأن بين العقل وبين نظام الزوجية وتضحية المرأة نزاعاً وصراعاً وان بينهما جلاداً يجب أن تخضع فيه المشاعر لحكم العقل وحده، كما نقول بأن بين الدين والعلم قتالا، يجب أن يتغلب فيه العلم وليد العقل، على الدين وليد المشاعر ونزعات مافوق العقلية فى الانسان

تأمل فى نفسك ساعة وانظر فيما يحف بك من النظم الاجتماعية والقيود الثقيلة التى تربطك بالمجتمع الذى تعيش فيه، والسلاسل والاغلال التى تثقل جيدك وتقصم ظهرك، من واجبات نحو الأسرة والأب والأم والزوجة والوطن والدين والتقاليد وفكرات الشرف والعرض وما الى ذلك، واستسلم الى العقل وحده وانزل على حكمه فى تلك الامور عامتها، وجرد نفسك من المشاعر ان استطعت برهة واحدة، فانك لا تلبث أن تجد عقلك وقد أخذ يجر خطاك الى التخلص من هذه القيود التى لن تجد من عقلك ما يسوغها أو يخرجها على حكم النفع المباشر. لماذا تعيش فى أسرة وتحمل نفسك من الاعباء ما تطيق وما لا تطيق؟ ولماذا تحب اباك وتحترم واجبات الأمومة وتعطف عليها، ولماذا تخضع لعيشة الزوجية وفى مقدورك أن تستعيض عنها بعيش أرغد فى نظر العقل واقرب الى مطالب الحياة الحرة المطلقة من قيود الواجبات الأدبية؟ ولماذا تحتمل تربية أولادك وتحمل من اجلهم أمر مشاقات الحياة باصطبار وسعادة؟ ولماذا تحب وطنك وتضحي فى سبيله نفسك ومالك وتريق من اجله دمك وارض الله واسعة الفضاء؟ ولماذا تقيد نفسك بدين تخضع له وفى متسع الاباحة ماهو ارضى لعقلك واوحى لغاياتك واوجب فى رضائك بالحياة؟

هذه أسئلة يجيبك عليها الشعور جوابا لا يرضاه العقل، ولا تسكن اليه موحيات الانانية الرسيسة فى طبيعتك. انما الطبيعة قد خصت الانسان بشيء غالب ناصية عقله ويتحكم فيه التحكم كله. شيء آت مما فوق عقليته ينزل تلك المعانى من نفسه منزلة يخضع لها العقل قسراً عنه، شيء يقال له الفكرة الدينية، فيها من المشروعية المكتسبة بحكم الاجماع العام ما يخضع الفرد المجتمع بحكم المشاعر، وتحد من شهوات الفرد المستقل الخاضع لحكم العقل. تلك هى وظيفة الدين الكبرى فى الاجتماع الانسانى(١)

(١) راجع كتاب ملقى السبيل الفصل السادس

هذه أمثال مقتضبة مما في هذه الحياة من بواعث ما فوق العقلية لو اننا مضينا نضرب فيها الامثال اذن لملأنا صدر مجلد ضخم حتى نبلغ منها حداً يرضى نزعة البحث الصحيح . وما أتينا بهذه الامثال الا لنظهر انه كما أن العلم لم يصارع بقية ما في الحياة من بواعث مافوق العقلية الانسانية صراعاً واجهها فيه بالذات ، كذلك هو لا يصارع الدين وهو أخص ما في هذه الحياة من الالهامات العلوية التي تحكم في مافوق العقل لا في العقل نفسه .

انما يصارع العلم صور اللاهوت المذهبي . لأن هذه الصور انما تريد أن تنزل بالدين الى أفق العلم،تريد أن تجعله ديناً وتجعله علماً وهنالك يقع الصراع بطبيعة الحال

لم يشرف القرن التاسع عشر على الختام حتى ودعه العلماء بعدة مستكشفات خطيرة في الفوسيقى والكيمياء والتاريخ الطبيعي . غير أن أعظم استكشاف وصل اليه العقل البشرى خلال القرن التاسع عشر على معتقدى ، تيقن أهل العلم بأن للعلم حداً يقف عنده ، هنالك ترك العلم ادعاءه بحق التفرد بالوجود والتسلط وحده على كفايات العقل البشرى ، اذ بان لاهله أن وظيفة العلم تنحصر في وصف حقائق الاشياء هنالك نامت عصبية العلم وانحصرت الطبيعة على نزعات الوهم السائدة فيها ، وهنالك تعددت المعارف الانسانية بحسب كفايات العقل الانسانى فترك للدين سلطانه وحدد للعلم حيزه

٧ — وظيفة الدين ارشادية لا تعليمية

لقد أبنا في سياق هذا البحث أن العداء لايمكن أن يقع بين الدين والعلم بصورة مباشرة ، وأثبتنا فوق ذلك أن العداء لايقع الا بين صور اللاهوت المذهبي والعلم ، لاسباب هي في الواقع ذاتية أكثر منها موضوعية . فان رجال اللاهوت حينما أرادوا أن يفسروا نصوص الكتب المقدسة ويطبقوا هذه النصوص على الحقائق الكونية جنحوا في الواقع الى فكرة أساسية كانت السبب الكلى فيما ترى من نتائج ذلك الصراع الذى قام بين معاهد الدين ورجال العلم . وكان أول ماذهبوا اليه وأدى الى هذه النتائج الخطيرة قولهم بأن نصوص الكتب المقدسة لاتقبل التأويل وانها إنما تزودنا بمعارف الدنيا كما تؤدى بنا الى الخلاص في الآخرة وكان لهم في ذلك مذاهب كثيرة أخصها مذاهبهم المعروفة في علم الفلك والجغرافية والخلق وما الى ذلك

على أن جهلهم بحقائق التاريخ كان في الواقع من أكبر الاسباب التي حدث بهم الى الاستمساك بمثل هذه الآراء والوقوف في مثل تلك المواقف الحرجة التي كان من

شأنها أن تذيع في بعض العصور مذاهب بلغت من التطرف في الالحاد أقصى الحدود. فانهم لم يعرفوا مثلا ان أكثر ماجاءت به الكتب المقدسة وأكثر التعاليم التي فسرت بها تلك الكتب انما استمدت من أساطير وخرافات ذاعت بين أمم العالم القديم في مصر والهند وأشورية وبابل والكلدان ، وان هذه التصورات الفرضية قد تناقلها الزمان وانتقلت بالتقادم من جيل الى جيل ومن أمة الى امة حتى أسلمت بها تطورات الاجتماع الى العصور الحديثة محبكة في صورة كتب مقدسة هي في الواقع ليست من الدين ولكنها مظهر من مظاهره

لهذا لا نريد أن نتابع الكلام في وظيفة الدين باطناب . لأن مجال الكلام في هذا واسع كبير . وجل مانرمي اليه من هذه العجالة يتلخص في شيء واحد هو الاعتقاد بان وظيفة الدين ارشادية لا تعليمية ، لأن القول بان وظيفته تعليمية قد يجر الى البحث في أصل الأديان ومنشئها ومقارنة بعضها ببعض . وهذا بلا شك يؤدي حتما الى القضاء على المهمة الأصلية التي من أجلها وجدت الأديان ، مهمة الارشاد والتأثير من طريق الوازع في سلوك الأفراد .

على اننا ان قدمنا اليوم الى القراء كتاب « تاريخ تنازع البقاء بين اللاهوت والعلم في العصور الوسطى » فانما نقدمه لطبقة من الطبقات المستنيرة في أنحاء الشرق العربي مرنت على مواجهة الحقائق وسكنت اليها وعرفت ان أفضل مايتصف به الانسان في هذه الحياة من خلق ، هو البحث وراء الحقائق لذاتها والسكون اليها مهما كان فيها من المناقضة لما نشأ عليه المرء من التقاليد .

ولا ينبغي أن نمر في هذه الفرصة دون أن أنبه على ان الاديان ذاتها انما كانت لتعرفنا الحقيقة من طريق ما . فالواح الوصايا العشرة التي نزلت على موسى وجرت عليها بقية الأديان وشرعتها للناس ، قد نزلت على قلب الانسان من قبل عهد موسى ومضى المشرعون والمصلحون يتبعون مبادئها قرونا قبل أن يعرف الانسان ماهو التنزيل . فانك تجد مثلا في « كتاب الموتى » عند قدماء المصريين ألواحا كهذه الألواح عددها عشرة تماما . وتجد ما يماثلها في دين زرادشت وماني وبوذا وكونفوشيوس

وعلى هذا فاني أعتقد اعتقاداً لا يرقى اليه الشك باننا اذا أردنا بعزم صادق أن نوحد الاديان وأن يكون لنا في هذه الحياة عقائد صالحة لان تكون دستوراً قويماً في الحياة، فلنبحث عن الحقائق ولنطرد الأوهام لتقوم الحياة الانسانية على أساس ثابت لا يدخله الوهم ولا تعمل فيه يد التقاليد

اسماعيل مظهر

البحيرة

قصة البحيرة التي نظم فيها الشاعر الخالد لامرتين قصيدته مشهورة لا تحتاج الى تعريف. وقد ترجمها الاستاذ نيقولاوس نثراً وكان لدينا لحضرة الشاعر المجيد علي افندي محمود طه ترجمة لهذه القصيدة عزمنا على نشرها في غير هذا الموطن غير انا نبادر بنشرها بمناسبة نشر الترجمة النثرية :

الترجمة النثرية

هكذا قدر لنا : أن نظل مدفوعين الى شواطيء جديدة مختطفين من الليل الابدي ، دون عود ولا رجعة ، فهل لا يتسنى لنا يوماما ، ان نلقي بمرساتنا في بحر الحياة ؟

***

أيتها البحيرة ! ما كاد العام يلفظ انفاسه ، حتى غدوت وحيداً اليك ؛ فانظري بالقرب من امواجك المحبوبة ، التي كانت تود ان تراها ثانية ، اجلس منفرداً على هذه الصخرة التي ابصرتها تقعد عليها ؟

***

لقد كنت تهدرين هكذا تحت هذه الصخور العميقة ، وكنت تتكسرين على جنوبها الحادة الممزقة ، كما تفعلين الان ، وكان الريح يلقي بزبد أمواجك على قدميها المعبودتين كما يفعل معي الآن .

***

أتذكرين عشية كنا نسير على صفحاتك الهادئة ونحن سكوت ، والطبيعة صامتة : لا يعكر هدوء الماء ، ولا سكون الهواء ، غير حركة المجاذيف المتناسقة الوقع ، تضرب لججك المشجية المطربة ؟

***

فارتفع فجأة ، صوت لا عهد للارض بمثله ، مردداً الساحل المأخوذ بسحره ، صداه المشجي ، فانصتت الامواج ، واصغت الهضاب ، وارهفت السماء مسامعها ، فاشاد ذلك الصوت الحبيب لدي ، يلقي الى بهذه الكلمات :

***

ايها الزمن ، قف عن طيرانك ، وانت ايتها الساعات الممالئة لهنائنا ، انقطعي عن "

سيرك ، واطرق بصرك عنا ، ودعينا نتذوق لذائذ اسعد أيامنا ، ونرتشف هناءها السريع الزوال .

***

ان التعساء كثيرون في هذه الحياة ، وهم يضرعون اليك . فسر بهم مقربا لهم آجالهم واصرم خيط شقائهم بانصرام ايام بؤسهم . وانس السعداء

***

ولكني عبثاً التمس ، فالزمان ضنين بنهيات وجيزة ، والوقت يفلت من يدي ويهرب فابتهلت الى الليل ان يتئد ، ولكن الفجر ماعتم ان بدد غياهب الظلام

***

فلنحاب سراعاً ، ونقبل على الغرام خفافاً ، تاركين ماعداه ، ولننعم بلذته وهناءه قبل أن تفوت ساعته المولية . فليس للانسان في حياته مرفأ يرسو فيه ، ولا للوقت ساحل يلجأ اليه . فالزمن يسري بنا ، ونحن نمر فيه تاركين عينا ولا أثرا .

***

ايها الزمن الحاسد الحقود ، هل في شريعة الانصاف ان تمر ارجاعات النشوة التي يساقينا الحب فيها كؤوس الهناء ، بنفس السرعة التي تمر بها ايام التعس والشقاء ؟

***

والهف نفسي ، أليس بمقدورنا ان نبقي حتى على أثرها ؟ أو لتعدون عودة ؟ أضاعت باكملها دون أمل ولا رجاء ؟ وهذا الزمن الذي اجاد بها ، هو ذاته الذي أفناها في غياهب العدم ، ألا يعيدها الينا ثانية ؟

***

أيتها الازلية ، ايها العدم ، ايها الماضي ، لأنتم هوات عميقة معتمة ، الاخبروني ماذا تفعلون بالايام التي تبتلعونها ؟ أتردون علينا ذلك الانشقاف الروحي ، وتلك الافتتانات المنسية التي تسلبوننا اياها ؟

***

أيتها البحيرة ، ايتها الصخور الصامتة ، أيتها المغاور ، أيتها الغابة الداجية المظلمة ، انتن اللاتي يبقي عليكن الزمن او يعيد البكر زهو الحياة ، اذا ما دب فيكن الموات والجدب ، الا فاحتفظن على الاقل ، بذكرى هذه الليلة الخالدة .

أنشدك الله أيتها البحيرة الجميلة، ان ترددي، سواء كان بسكون مياهك وهدوئها، او باصطخاب امواجك وثوراتها، او بمنظر سواحلك النضرة الضاحكة، او بأشجار الصنوبر السوداء التي على حوافيك، او بصخورك المرحشة المعلقة فوق مياهك:

***

رددي، سواء كان بنسيمك المضطرب السارى، او بدوى صفقك المتنقل من شاطىء الى آخر، او بالكوكب ذى الجبهة الفضية الذى ينير صفحاتك، بضيائه البيضاء الساحرة:

***

رددي، سواء أكان برياحك الباكية المنتحبة، أم بزقزقات اعشابك وورودك، او بعبيرك المعطر فضاءك، او بكل ما تسمعه الاذن، وتراه العين، ويستنشقه الفم، رددي بكل مافيك من حس وشعور، وحسن وجمال، ونور وعطر وبهاء، رددي هذه الكلمة التى هي زفرة القلب الدامي، ونحيب الروح الحائر:

لقد تحابا، ولكن لم يمهلهما الزمن!

جورجي نيقولاوس

القصيدة

كان عام ١٨١٧ وكان الربيع يملأ باقاسه العبقة وادى السفوا حيث تشرف مدينة اكس من شرف تيه الساحر على شواطىء بورجيه تلك البحيرة الوادعة المتدفقة فى منعرج شعابه.

وكان لامرتين أحد أولئك الذين قصدوا تلك الأودية والشطآن حيث نزهة أحلام الشباب ومسبح الشعر والخيال!

وكان فى الغرفة المجاورة لغرفته فى المنزل الذى سكن اليه فتاة بارعة الجمال تدعى (جولى) لمح لامرتين على وضاءة صفحتها لمحا من أحزان القلب وهمومه.

وكان الحياء يدفع بشاعرنا عن ناحية الفتاة ويدفع بها عن ناحيته. فليس إلا تحية نبيلة يبدأ بها أحدهما الآخر كل صباح ومساء!!

ففى ليلة بينا سكنت الاصداء فى جوفها، ورقدت على الضفاف أمواج البحيرة ساهمة

ساحبة بقايا الاغنية للرياح البحرية في رقصها على الاشجار وصوت المجداف يضرب به لامرتين أديم العباب في زورق يرتاده حفاف الشواطئ، وقد خلع عليها الربيع سابغ الاوراق. اذ يصدي صرخة مستنجدة يحملها اليه الهواء، فالتفت من أعلاه يتلفت في مسارب اليم مصدر ذلك الصوت واذا به حيال زورق صغير يحمل فتاته جولي وقد تملك الماء مأخوذا فاحتملها لامرتين الى زورقه وتنقل بها من صخرة الى صخرة حيث أقرب سكن من الشاطئ. وهناك انتبهت الفتاة من غشيتها فألفت نفسها بين يدي ذلك الغريب الشاب الذي كانت تحلم به ويحلم بها

ومرت عليهما ليالات رغية اختلساها بين الضفاف والامواج !!

ولم تكن فتاتنا بالعذراء فقد كانت على حداثة عهدها بالشباب زوجة شيخ من علماء باريس التي بها القدر في حادثة طفلة وغادرها حبلة له سعيدة أن روحها الشابة لم تجد في تلك الحياة عزاء ونحو بها السقم فوصفت تلك الأودية للاستشفاء بعد أن أحدثت الآلام في قلبها شدخا عميقا لم يزل حتى استأصل شأفة تلك الآمال. وهكذا أخذ ماء الحياة يتسرب منه كما أخذت زهرة الشباب تذبل أوراقها. ولكن جولي أصابت من هوى لامرتين حياة جديدة من أشعة وحرارة!

وانقضى موسم العام وحان موعد الرحيل فصحبها لامرتين في سفرها الى باريس، وهي بين الصحة والسقم، وافترقا في العاصمة بعد أن ضربا موعدا للقاء فوق الصخرة في مثل عهدهما هذا من الحول القادم!!

ودارت السنة دورتها ويمم لامرتين شطر البحيرة يتفقد آثار جولي واذا به يتلقى نبأ وفاتها قبل اللقاء بثلاثة أشهر حيث قضت شهيدة حمى خبيثة أذوت عود شبابها فسقطت أوراقه قبل أن تسقط أوراق الخريف.

وهناك على الصخرة التي ضرباها موعدا للقاء، على الصخرة التي حملتهما متباركين في ظل الحب الاول، قضى لامرتين ليلة وهو يناجي البحيرة وأمواجها والطبيعة وآثارها بهذه الكلمة الشاكية والقصيدة الباكية!!!!

ليت شعري أهكذا نحن نمضي ... في عباب الى شواطي غمض
ونخوض الدجى في جنح ليل ... أبدي يمضي النفوس ويمضي
ومضاف الحياة ترمقها العيـ ... ـن فبعض على أثر بعض

دون أن تملك الرجوع إلى ما ... فات منها ولا الرسو بأرض ؟!

***

حدثي القلب يا بحيرة مالي ... لا أرى «ألفير»(١) فوق ضفافك

أوشك العام أن يمر وهذا ... موعد اللقاء في مصطافك

صخرة العهد زرتك هاأنذا عد ... ت فماذا لديك عن أُلافك

عدتمو خدني أرض الضفاف بحين ... سفكت دمعها الليالي السوافك

***

كنت بالأمس يا بحيرة كما أنـ ... ـت هديراً يهز قلب السكون

وحفاف أمواجها يتداعيـ ... ـن على هذه الصخور الجون

والنسيم العليل يحمل وهنا ... زبد الموج للربى والحزون

ملقياً رغوها على قدميها ... أيها الحب منتحب الأنين

***

أترى تذكرين ليلة كنا ... منك فوق الأمواج بين الضفاف

ونسرى زورقي بنا يتهادى ... تحت جنح الدجى وستر العفاف؟!

ـق سكون فليس تسمع فوق الـ ... ـموج إلا أغاني المجداف

تتلاقى على الربا والحوافي ... بأناشيد موجك الرفاف؟؟

***

وعلى حين غرة رن صوت ... لم يعود سماعه أنسي

هبط الشاطئ الأغيد فاستـ ... ـمع فيه للكائنات دوي

وإذا بالليل سامع سكن النو ... م إليه وأنصت الجن

يتلقى عن نبأة الصوت نجوى ... كلمات ألقى بهن نجي

***

يا زمانا يمر كالطير مهلا ... طائر أنت؟ ويك قف طيرانك!

---

(١) ألفير الاسم الشعري لجولي

أهناء الساعات تجري وتمضو   تا عطاشا فقف بنا جريانك؟
ويك دعنا نمرح بأجمل أيا   م ونلقى من بعدخوف أمانك
وإذا نحن لذة العيش ذقنا   ها ومرت بنا فدر دورانك!

* * *

بيد أن الشقاء قد غمر الأر   ض وفاض الوجود بالتاعسينا
كلهم ضارع إليك برجيك   فأسرع !! أسرع !! إلى الضارعينا
وأقرس مشقيات أيامهم واه   ض رحى يطحن الشقاء طحونا
رحمة؟! فاذكر النفوس الحزانى !!   وأنس يادهر أنفس الناعمينا !!

* * *

هيئا أنشد البقاء لعهد   يفلت اليوم من يدى ويفر
وسويعات غبطة ما أراها   وشيكا ما تنقضى وتمر
وأنادى ياليلة الوصل قرى   إن بعد السرى يطيب المقر
أسفا للصبا وفر ليال   ليس يفى على صباهن فجر

* * *

فلنحب الحياة ولنحى حبا   ولنكن فى الحياة بعضا لبعض
ولنسارع فتقتفى إثر ساعا   ت فقد تؤذن النوى بالتقضى
إننا فى الحياة فى عرض بحر   ليس نلقى المرساة فيه بأرض
ماله مرفأ يبين ولكن   نحن نمضى من يمه وهو يمضى ؟!

* * *

أكذا أنت أيها الزمن الحا   قد تغتال نشوة اللحظات ؟
حيث يزجى لنا السعادة أموا   جا من الحب زاخر اللجات ؟
أكذا أنت ذاهب بليالى الصـ   ـفو عنا سريعة الخطوات ؟
أكذا تنقضى ملاوة نعما   ها كما ينقضى شقاء الحياة ؟؟

* * *

كيف حدث : أنالطامنك صرفى   فى أبيد الزمان حيث طواها ؟

ويك قل لى أليس عماك يوما   أن تراها أما تبين خطاها ؟
أتراها ولت جميعا ولما   تبق حتى آثارها — أتراها ؟
أو ذاك الدهر الذى افنى فى صو   غ صباها هو الذى قد عفاها ؟

***

أى أيد الزمان والعدم الصـ   ـاتى غريقين فى سكون وصمت ؟
أى عميق اللجات ماذا بأيـ   ـام صبانا ، ماذا بهن صنعت ؟
حدثيني أما تعيدين ما من   سكرات الغرام منا اختطفت ؟
او ما تطلقينها من دياجيـ   ـك ؟ أما تبعثينها بعد موت ؟

***

أنت ياهذه البحيرة ماذا   يكتم اللج فيك والشطآن
أيها الغابة الظليلة ردى   انت يامن أبقى عليها الزمان
وهو يستطيع أن يجدك حسناً !!   احفظي ! الا اصابك النسيان !!
قل حفظا أن تذكرى ليلة الصـ   ـوت وانت الطبيعة الحسان

***

ليكن فى هدوء موجاتك هذا   وليكن فى هدره واصطخابك
فى غابك دائماً تتراءى   ضاحكات على سفوح هضابك !

«فاجعة الازهر»

مثل الازهر في هذه الايام كمثل الاساطير القديمة نسمع عنها وتروى لنا أخبارها ، فهي تعيش بيننا بالرواية لا بالذات ، وتنتقل من ذهن الى ذهن بالخبر لا بالخير . فالازهر الآن أقرب ما يكون لقوله تعالى « فجعلهم أحاديث » .

جامعة معروف بانها أكبر الجامعات الشرقية وأقدمها تاريخاً وأسمها بين جامعات الشرق حصناً وأشرفها اسماً . وهي في الوقت ذاته عنوان الشرق واللسان الناطق باسم مصر عند الغربيين من رواد هذه البلاد وممن يستمعون اليهم ويتلقون عنهم أخبار رحلاتهم . هذه الجامعة لاتزال تخطر بين أوهام القرون الماضية ، ولاتزال تتربع على عرش القرون الوسطى متوجة على دست تلك العقلية التي أبادها العلم وقضى عليها الاستكشاف الحديث .

ولقد ظلت هذه الجامعة طوال العصر الحديث مقبرة لكل مصلح مفسدة لكل اصلاح . حاول الاستاذ الامام محمد عبده أن يصلح من شأنها وان يدخل اليها بعض فروع العلوم الحديثة التي هي صلاح لامر الدنيا وامر الدين معاً ، فاهينت كرامته وأعطره « العلماء » الاعلام والبلاء من قذائفهم القديمة التي كانوا يرمون بها « الكفرة الفجرة » من أهل الاديان الاخرى ، وسلطت عليه الجرائد الساقطة تنال من كرامته وتنهش من عرضه نهشاً « والعلماء الاعلام » ساهمون تتفتق ثغورهم عن ابتسامة الانتصار التي يرسلها الجهول والجهلاء على العلم والعلماء ، لدى هزيمة ما ان يتنفس صبح الحرية حتى تنقلب انتصاراً رغم انوف المتكابرين .

وحاول الاستاذ المراغي ، مثل التضحية الأعلى ورجلها الاوحد بين علماء هذا الجيل ، أن ينتشل الجامعة الازهرية العتيقة وينتشل معها الدين الحنيف من تحكم أصحاب العمائم الجامدين ، ويرسل من أشعة العصر الحديث نوراً يضيء في جوانب الازهر المظلمة ، ويبدد أتربة القرون التي تراكمت على عقلية أهله وعلى عمائم علمائه ، فتحركت الافاعي القديمة فاغرة أفواهها المسممة نحو المصلح العظيم ، وجرت مياه الدسائس لينة سهلة تحت قدميه ، فصبر لها وصمد على اهاناتها حتى اذا رأى أن مد هذه المياه الكدرة كاد يصل الى كرامته واستقلال رأيه ، ضحى بالوظيفة في سبيل الانتصار للفكرة ،

يضرب المثل حيا دائما على أن العقلية القديمة لا توافق مقتضى هذا العصر ، ولا تتبق وحاجات المدنية الحديثة

وأنا ان كنا اليوم هذه الكلمة التقديرية فانما نوجهها الى الاستاذ المراغي قانونا بان البزرة التي رماها في أرض الازهر لابد من أن تفرخ يوما وأنها لابد من أن تشب وتؤتي أكلها في أقرب حين ، وان أصحاب العقلية القديمة لابد منهزمون يوما

على اننا ان وجهنا هذه الكلمات للاستاذ المراغي بالذات فلا يفوتنا أن نقول ان الحرية العقلية أساس المدنية الحديثة ، فاما ان تتحرر واما ان تفنى . أحد أمرين لا ثالث لهما ، فليختر أهل مصر ايهما أهدى سبيلا .



بين الادب والعلم

حضرة الاستاذ الفاضل محرر (العصور)

تردد اسمي في أكثر من صحيفة ومجلة — ومنها (العصور) — لمناسبة تجدد العناية بالقبيل العناني ، ولكن أمنيتي أن أظل بعيداً عن مجال المنازعات المفرضة التي لا فائدة منها بتاتاً للادب ، وليهنأ المتنافسون في حلبة الإمارات والزعامات الأدبية ، — أولئك المسوقون بالفخر الكاذب والأهواء الشخصية ، لا أكثر ولا أقل ، إلى هذه الدعايات والأكاذيب التي لا طائل تحتها ، وكل مايطلبه عاجز مثلي أن يترك يعمل في هدوء على قدر طاقته المحدودة ، محاولا بمرور الزمن أن يهذب من جهوده ، مستفيداً بالنقد النزيه ، متخلياً عن كل مايعشقونه من مظاهر الفخفخة الأدبية ، متمثلا لهم بقول خليل بك مطران :

حرام علينا الفخر بالشعر إن نقع ۞ نسور معاليه وقوع ذباب !

وما كبرياء القول حين نقوسنا ۞ تجاريقصارص في انتفاخ رواق ؟ !

***

وبعد فاشكر لصديقي الاستاذ الدكتور شخاشيري بك تفضله بنقد كتابي (الطبيب والمعمل) كما أشكر لنبالة قصده وكرم نفسه واخلاصه العلمي الوافر ، ويسرني أن أجيب هنا على أسئلته التي طرحها علي في مقاله المنشور بعدد نوفمبر من مجلتكم .

سألني حضرته (ص ٦٨٩ — ٦٩١ من «العصور») عن مغزى تفاعل فازرمان بالنسبة للحالة المرضية مادامت هذه لا ترتبط ارتباطاً دائماً بصورة هذا التفاعل .

والجواب على هذا السؤال استغرق عشراتٍ من صفحات كتابي السالف الذكر ، فحسبي هنا أن أقول إن تفاعل فازرمان الايجابي هو عادة قرين السفلس ، والعكس بالعكس ،

وان هناك تفاعلات كاذبة معقولة التفسير وقد ذكرتها بالتفصيل فى كتابى - ولا ارى فى الامكان التسليم بأن التراكيب الزرنيخية التى تستعمل لمقاومة السفلس تؤثر من طريق تقوية مناعة الجسم فى حين أن التجارب تدل على أنها ذات تأثير نوعى خاص على لولبيات السفلس . وليس بمستغرب احتماء هذه اللولبيات أحياناً فى مستعمرات متكيسة، اذ من المعروف فسيولوجياً أن توزيع المواد الكيماوية عن طريق الدم الى جميع اجزاء الجسم لايتساوى ، وبعبارة اخرى أنه يتضاءل جداً داخل الاجزاء المصابة المتليفة ، وهكذا تسلم هذه اللولبيات من تأثيرها مادامت تبقى محتمية فى مستعمراتها . كذلك أعترض الدكتور شخاشيرى بك على قولى عن الدفتريا بـ« لا يكفى الاعتماد على فحص ميكرسكوبى بل لابد من الزرع ، وان نفع الفحص الأول كمرشد لاعطاء المصل العلاجى الذى يجب اعطاؤه على أى حال ولو بجرعة متوسطة اذا عظم الاشتباه فى الحالة » ، فقال الدكتور الفاضل : « ليسمح لى صديقى أن أضيف إلى جملته الأخيرة « اذا عظم الاشتباه » كلمة « أو قل » ، والواقع يبرهن على وجوب الأخذ بهذه النظرية ، فاذا كان هناك اشتباه ما — ولو أنه ضئيل — فالواجب يقضى بحقن المصاب بجرعة من المصل لا تقل عن ثمانية آلاف وحدة ، وبحقنة مثلها اذا أبطأ المعمل فى اظهار النتيجة بعد مضى ٢٤ ساعة وظل الاشتباه على حالة من الضآلة أو تضاءل قليلا ، لأن التحسن الذى يظهر على أثر الحقنة الأولى برهان على أن الاشتباه فى محله ، وماز واله أو احداث تغيير فيه الا الحكم على وجوده وتأثير المصل فيه ، ولاضرر من اعطاء المصل بحال » . وإنى على اتفاق تام مع ماذكره حضرة الصديق الزميل كأنما كنا (ص ٣٠ — ٣١ من الكتاب) ، وقولى « اذا عظم الاشتباه » يشير إلى امتحان مسحة الحلق ميكرسكوبياً قبل الزرع منها لا الى الزرع، كذلك لايشير بحال إلى الاشتباه الكلينيكى لأن وجود هذا الاشتباه الكلينيكى يستدعى حتما اعطاء المصل ، والتشخيص الكلينيكى الايجابى مقدم على تشخيص المعمل الذى يعتمد على عينة قد لا يكون أخذها موفقاً ، وإلا كان المريض عرضة للخطر اذا تأثر الطبيب المعالج بنتيجة المعمل السلبية وحدها ، ولم يلتفت إلى الأعراض الكلينيكية الملحة عليه.

إن اعطاء مصل الدفتيريا لاضرر منه الا فى حالات الاستهداف أو فرط الحسية (anaphylaxis) فيجب قبل اعطائه الاستفهام عن تاريخ المريض سابقاً لتوقى وقوع هذا الخطر ، وذلك باعطاء حقنة من الأدرينالين وبتجزئة اعطاء

المصل: كأن يعطى مقدار سنتيمتر مكعب منه أولاً ، ثم يعطى الباقي بعد نصف ساعة ، غير خاف أن الاشتباه في تعطيم ميكروكوبي من مسحة حلق قبل الزرع هو بمثابة احتياط عظيم ، فإن كثيراً من المعامل تكتفي بالزرع ، وبعضها لا يرتاح الى نتيجة الفحص قبل الزرع ، فما ذكرناه من هذا القبيل يتفق وما يذهب اليه الدكتور شخاشيري بك من الرغبة في الحيطة ».

بقي أن الجرعة التي يشير باعطائها (٨ آلاف وحدة) ويعدها ذات قيمة هي في نظري بالنسبة للاختبار الحديث قليلة ، وعندي أن الجرعة المتوسطة هي من ١٥ ألفاً الى ١٨ ألفاً من الوحدات حينما الجرعة الكبيرة قد تتجاوز ثلاثة أضعاف ذلك ، ومن الخير أن يعالج المريض عند التشخيص الايجابي أو عند الاشتباه القوي بجرعات كبيرة على ثلاثة أيام متوالية ، وأن يكتفى عند الاشتباه القليل باعطاء جرع متوسطة كالسابق بيانها ، ولا خوف من حدوث الاستهداف في حالة ما تعالج فيلا تحصل ما دام يعطى المصل في خلال اسبوع مثلاً ».

وأما عن التحصين على أثر اعطاء المصل فليس علامة حتمية على الاصابة بالدفتيريا إذ كثيراً ما يكون المصل مفيداً في العدوى الميكروبية الاخرى كعدوى الاستربتوكوك ، ومن الحسن على كل حال تقوية القلب أثناء العلاج اجتنابا لحالات الهبوط الاستثنائية من تأثير التسمم الميكروبي عامة ، أو من التسمم البروتيني المصلي نادراً .

وأنطرق من هذا التعليق الى كلمة عن الاصطلاحات الطبية بمناسبة ما ذكرته (الهلال الجديدة) عن كتابي في عدد نوفمبر إذ قالت في معرض النقد : « وقد استعمل لفظة متناسق ترجمة الى الكلمة الانجليزية homogeneous ، والتناسق هو الترتيب ، وفي رأينا أن لا علاقة له بمعنى هذه الكلمة ، وانما الترجمة السديدة هي التجانس ، فالمزيج يتجانس و يصبح في قوام واحد ولكنه لا يتناسق ، أه ، والواقع أنه من الخطأ استعمال كلمة التجانس بمعنى الانسجام الكلي لأجزاء سائل أو مزيج ، فقد يوجد مثلاً مزيجان متجانسان بالنسبة لتركيبهما العام ولكن قد يكونان وقد لا يكونان متناسقين (أي منسجمين) بالنسبة لانبثاث أجزائهما وتوزعها المتماثل في المجموع ، فمن الخطأ إذن الاعتماد على لفظة واحدة مقابلة للاصطلاح الافرنجي التي قد يستعمل لمعنيين مختلفين حسب القرائن ، ما دامت الألفاظ العربية المبينة ميسورة لدينا أو من السهل توليدها . وقد

اكتسبت كلمة «التناسق» هذا المعنى العلمي وإن لم تذكره المعاجم ـ شأن كثير من الألفاظ التي تفرعت لها معان جديدة وأغفل تدوينها، ومن هذا القبيل كلمة «نسق» بمعنى نمط أو طراز أو أسلوب. وإني أشكر (المجلة الجديدة) هذا الحرص على الدقة اللغوية وأقول إن هذا هو في الواقع مذهبي منذ تشوقي الأدبي سواء في الكتابة العلمية أو الأدبية، وبهذا الدافع كتبت مقالي (في سبيل العربية) الذي نشره (المقتطف) في يوليو الماضي. كما كتبت في معنى ذلك تكرارا من قبل.

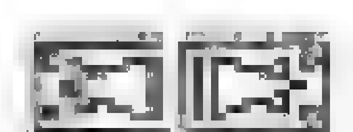
* * *

وأخيرا أود أن أشكر لأهل العلم والأدب الهاوين تربية النحل ما تلقيته من تشجيعهم لمناسبة ما أذيع عن مجلتي العربية والانجليزية (مملكة النحل - The Bee Kingdom) التي ستصدر عن «دار العصور» في يناير الآتي. ودفعا لأي التباس أقول إن الغرض من نشر هذه المجلة الشهرية المتواضعة التي لا أقصد إلى أي ربح مادي من ورائها يشمل: (١) نشر المعارف الحديثة عن تربية النحل، (٢) رفع مستوى هذه التربية سواء كانت هواية أو مهنة في القطر المصري وفي غيره من الأقطار العربية، (٣) إيجاد رابطة علمية وأدبية ما بين النحالين في الشرق والغرب لتيسير بذلك صنوف التعاون الفكري والاقتصادي بينهم، (٤) تشجيع الأبحاث العلمية الصميمة الخاصة بالنحالة. وهذه هي تقريبا نفس الأسس العامة التي كونت عليها نادي النحل الدولي (ذي إبيس كلوب — The Apis Club) في سنة ١٩١٩ ومجلة عالم النحل (The Bee World) التي ما تزال تصدر في أنجلترا إلى الآن تحت رعاية النادي المذكور. فلعلي أنال من التوفيق في وطني ما لا يقل عن نظيره في انجلترا.

وتفضلوا بقبول شكري الجزيل وتحياتي.

القاهرة

احمد زكي ابو شادي



حول البهائية

تبادر الى ذهن الكثيرين انا ننشر دعوة البهائية فى هذه البلاد ونحاول تأييدها على صورة من الصور . مع أنا كنا أول من هاجمها فى العصور ، وأول من نشر رأى أنصارها . وهذا مبدؤنا . فانه من العسف الشديد بل من الخرق والحماقة أن نبيح لانفسنا مهاجمة عقيدة أو مذهب أو رأى أو نظرية من غير أن نفسح لانصاره مجال الدفاع عن أنفسهم .

إن رأينا فى البهائية على مافهمناها حتى الآن أنها من التعميمات الفلسفية الخطرة ، لا على الدين وحده ، بل على الثقة بالعقل نفسه . فهى بينا تؤمن بالعلم اليقينى ، تؤمن بما وراء الطبيعة . وبينا هى تؤمن بالنحل ، ولا أعلم ما هو تحقيقاً ، لا تؤمن بالحلول ، وبينا هى تؤمن بالله لا تؤمن بوحدة الوجود . وبينا هى تؤمن بالعقلية الشيوعية ، تبادر الى تقديس العقلية الأخرى بمعنى أنها تقرب من العقلية الاسبيرتية فيه نشوز عن القاعدة الأصلية للأديان الكبرى تبيح الإيمان بعلم الغيب على القواعد الإثباتية . ونجدها فضلا عن كل هذا لا ترتكز الا على المجاز فى تفسير النصوص المقدسة التى نصت عليها الكتب الدينية . هذا مع أن للمجاز طرفين فى التأويل . فهى تأخذ بالطرف الذى يوافقها وترفض الطرف الذى لا يتمشى مع مبادئها رفضاً لا تستند فيه الى دليل ما حتى مقبول .

نقول كل هذا مع احترامنا لعقيدة أصحاب الدين البهائى ومشاعرهم واحساساتهم ، غير متجافين لاثم ولا نازعين الى تجريح ، معتقدين انها عقيدة كبقية العقائد الصغرى التى تملأ وجه الأرض ، أماقتناها وضررها فسيان على كل حال

اسماعيل مظهر

على السفود



والسفود نار لو تلقت بجاحمها حديداً ظن شحما

ويشوي الصخر يتركه رماداً فكيف وقد رميتك فيه لحما ؟

الفيلسوف ...

بقي من أوصاف العقاد الشاعر المراحيضي (أو صاحب مرحاضه) وصف لم نعرض له فيما أسلفنا من الكلام عليه وهو وصفه بالفيلسوف مع أن هذا المراحيضي عند نفسه شديد التحقق بهذا الوصف يزول عن إحدى عينيه لمن يقلعها بمسمار !! ولا يزول عن كونه فيلسوفا وفيلسوفا وفيلسوفا ...

ومما أضحكنا ذات مرة أن كاتباً من خرقاء الشيوعيين الحر مر على جلد العقاد

كما تبر القملة ميتة لينة إلى أن تنفس خرطومها . فكتب مقالة فى جريدة البلاغ يصف فلسفة المراجيفى ويقرظها ثم غمس خرطومه بتبه العقاد إلى مذهب وحدة الوجود . فتناوله العقاد كما يتناول أحد البرابرة قملة من قفاه ! وكان مما كتب قوله : ان الكاتب الذى تنبسط أمامه آراء جميع الفلاسفة (تأمل) ليتصرف فيها (تأملا) لا يحتاج أن يجيئه فى آخر الزمان (تأملوا) من يذكره بوحدة الوجود الخ الخ . فالعقاد يتصرف فى جميع فلاسفة الدنيا حتى كأن الله لم يخلقهم إلا ليفكروا له ويقدموا لمنحته الجبار جزية أفكارهم الذليلة الضعيفة ويناديه من وراء الغيب يامولانا صاحب مرحاضه املأ مرحاضك الفكرى . . وما على مصر غير أن يحتلها الانجليز ، فان فى مصر جبار ذهن أحتل دول الأرض كلها وحكمها من فلاسفتها ! ومن شعرائها ؟ ومن كتابها !!

لما أنشأ المجلس البلدى فى مدينة (كذا) خزاناً للماء أقامه على عمد طوال من الحديد الصلب وملأه بماء النيل لينحدر منه الماء فيصعد فى أنابيب إلى منازل المدينة . قال الخزان للنيل ما شأنك ويحك ! وما مقامك فى هذا البلد الذى أنا ، أنا فيه ، وحسبك أن أقول أنا لتعرف من أنا . ألا ترى أيها الأعمى أنى أنا النهر الحقيقى وأنى جبار الماء وأن المدينة بناسها وبهائمها وشوارعها لا تشرب ولا تنضح إلا منى فلو أمسكت عنها يوماً أو بعض يوم لهلكت ولقاد الناس من جفاف حلوقهم وتضرم أحشائهم فى مثل حالة نزع الميت واحتضاره ؟ قالوا فما زاد النيل على أن التفت اليه وقال : أيها الخزان أما مع المنازل وأشباه المنازل من قراء الجرائد ؟!! فتكلم كيف تعطى ، وأما معى أنا فقل وبلك من أين تأخذ ؟

هذا هو مثل الفيلسوف المراجيفى يرجع الى ما قررناه مراراً من انه مترجم ناقل وتنقصه أمانة الترجمة لانه يأبى الا أن يدعى والا أن يتصرف بغباوته فيفسد فى الجهتين ولا تبقى فيه الا الدعوى ويكابر فى هذه الدعوى ويقاتل عليها فلا تبقى فيه الا الوقاحة . إنما يريد الناس من يقول هذا رأيى لا رأى فلان وفلان ، وقلت أنا لا يقال فلان وفلان ، وساعات بين مؤلفاتى لا (ساعات بين الكتب) ! وأنا أفضل من يكتب صفحة واحدة فى اللغة العربيــة بأسلوب بديع ومعان طريفة وخيال سام وشخصية ظاهرة فى كل سطر ، على من يترجم كتابا كاملا من لغة أجنبية وان كان هذا فضله فى معناه وطريقته ، لان الاول هو ثروة اللغة وبه وبأمثاله تعامل التاريخ هو الذى يحقق فيها فى ألفاظها وصورها وهو بذلك امتدادها الزمنى وانتقالها

التاريخى وتعلقها مع أهلها انسانية بعد انسانية ، ولا تجديد ولا تطور الا فى هذا التعلق متى جاء من أهله والجديرين به. أما الثانى فله فضل دابة الحمل وفضل عمالها الشاق النافع التى لابد منه . ولكن لاينبغى للعقاد أن يقول للغة أنا أوجدت وأنا فعلت الا إذا جاز للحمار الذى يحمل شيئاً الى بيتك أن يقول لقيم الدار : خذ هذا ماصنعته لكم ؟ . وما عليك ياحمار لو استكملت فضيلتك بوقلة ماحملته لكم ؟

للمراحيضى رأى فلسفى فى تعريف الجمال — وناهيك من ذوق من يقول فى شعره : مرحاضه أطهر أثوابها ، وما الذوق الا أداة الجمال وسبيل فهمه وتصوره كما هو مقرر فيقول العقاد « ان الجمال هو الحرية » ويرى ان هذا ابتكار فات به الفلاسفة ويكاد يقول العقل الانسانى بعد هذا الابتكار لم يبق بينه وبين الالوهية الا واحد أو ثلاثة بمثل هذه القوة الجبارة

وانما ذكرنا هذا الرأى لانه يهمنا جداً فى بيان حماقة هذا الرجل وغروره وحماقته ثم هو ق رأى المراحيضى ابتكاره الخاص به وعمود فلسفته مع انه لو عقل لستره على نفسه ولكن الرجل ضعيف ملكة التوليد فيشتبه له فيشتبه عليه ، ويخيل اليه فيخال ، ويقول ابتكرت وتقول الحقيقة بل أفسدت ، ويقول هذا نبوغى وتقول ألسنة النقد بل هذا سوء فهمك .

أما ان العقاد توليداً فى شعره وآرائه ما يفرزه ويطلع عليه أو يعترسه ويشاهده فهذا صحيح ولو لم يبتله الله بالغرور يفسد عليه تمحيصه وامتحان آرائه لكان يرجى أن تتسع عنده الملكة ويبلغ مبلغاً ، ولكن ماذا تقول فى رجل لسانه من شؤمه ولؤمه لايكون دائماً الا امام تفكيره ؟ قال لعمر أديب كبير — امام الاستاذ عمر والمقتطف — منذ ثلاثة أشهر باعتقاد عند ما تقرأ فى كتابى الجديد كلمة الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده فى تقريظى . فرد المغرور : « الشيخ محمد عبده لايعرفك » مع ان الشيخ توفى قبل أن يكون العقاد معروفاً وقبل أن يكتب مقالة ، ولم يكن هذا العقاد من ذوى مجلسه أو ذوى جماعته أو من خاصته ومن كتاب الشيخ عنطه في الاديب ولكن لعن الله الحقد ولعن الله الحماقة .

وماذا تقول فى رجل عقاد مراحيضى رأى سعد باشا زغلول نابغة دنياه ودهره يقرظ كتاب « إعجاز القرآن » فيقول بصف بلاغته وبيانه : كأنه تنزيل من التنزيل وينشر تقريظ سعد فى كل الصحف وهو حى بعد فى سنة ١٩٢٧ فيجن العقاد — أمام محرر المقتطف أيضاً — ويتهم صاحب الكتاب فى وجهه بأنه زور ، تقريظ سعد ؟

مع أن كتاب سعد باشا فى يد صاحب الاعجاز ومع أن كتاب الاعجاز هذا أمر جلالة مولانا الملك بطبعه على نفقته الخاصة ونشر كتاب سعد فى صدر هذه الطبعة الملكية

اللهم أنك تعلق مانفهمه ومالانفهمه وقد يكون العقاد بقة انسانية ونحن لاندرى .

يرى القارىء من هذين المثلين وما قدمناه فى السفود الثالث من زعم العقاد أمام عرور التلطف أيضاً — انه أذكى من سعد باشا وأبلغ من سعد باشا — أن هذا العقاد كالآلة البخارية الحربية من بعض جهاتها ، تعمل ولكنها تقيد ، وتدور ليقول الناس ليتها لاتدور ، وهى تجارية من آخر طراز ، ولكنها حمقاء كذلك من آخر طراز

بتلك الحماقة المغرورة أضعفت ملكة التوليد عند الراجيفى وكل النبوغ هو فى هذه الملكة واستحكامها . فلن يفلح العقاد من بعدها ولن يكون الا كما كان ولن يخرج الا الآراء المضحكة من مثل قوله ان الجمال هو الحرية .

كيف جاء بهذا الرأى أعنى كيف كان توليده اياه أنه رأى الفيلسوف شوبنهور الألمانى (١) يقسم الدنيا الى فكرة وارادة ويقول أن المعانى ، الفكرة ، هى الدنيا المكونة قبل أن تظهر فى حيز الاسباب والقوانين وعلاقات الأشياء بعضها ببعض . وان الارادة ، هى هذه الدنيا التى نكابد أوصابها ونوائبها ولانذوق السرور فيها الا بسبب من الأسباب التى تدور عليها أغراضنا وشهواتنا . ولكننا نسر رنا (بالجمال) سروراً بلا سبب ولا منفعة (أكذلك هو ؟) فهو من قبيل الفكرة المجردة وننظر اليها كما هى فى عالمها المنزه عن الأسباب والعلاقات . (اذا نظرت أنت اليها فكيف يكون لها حينئذ عالم منزه عن الأسباب والعلاقات وأين يوجد هذا العالم وكيف تعرفه أنت ؟) قال : والسر فى وضوح احساسات الشباب (وجمالها) الكمالى هو كما يقول شوبنهور انا فى عهد الصغر نرى فكرة النوع وراء صورة الفرد اذ تلوح لنا لأول مرة لأننا تمثل فى كل فرد نموذجا جديداً لم تسبق لنا معرفة به ولم تظهر لنا أية دلالة اخرى عليه . فالشجرة الأولى التى نراها تمثل لنا فكرة الشجر كله أى نموذج هذا النوع الجديد الذى لا عهد لنا به قبل ذلك ولا تقتصر على تمثيل شجرة واحدة زائلة هو شأنها عند من توارد ت عليهم مناظر الاشجار الكثيرة . ولهذا نرى فيها الفكرة الافلاطونية التى هى فى الحقيقة جوهر (الجمال) .

هذا ضبط العقاد فى تلخيصه رأى شوبنهور و بعده ينقض بعضه الا عند مثل هذا الرجل الذى لايكاد يميز بل يأخذ بأول ما يبدو له . فان ما رآه فى عهد الصغر حين

---

(١) هذا التلخيص من نقل العقاد نفسه

نرى الشجرة الاولى التى لاعهد لنا بجنسها ولا بنوعها قبل ذلك مما يجعل هذه الشجرة الواحدة هى الشجر كله . ان هذه حالة لن تكون هي ذاتها الا الحالة القائمة بنفس الشاب فتكون « السر فى وضوح احساسات الشباب وجمالها الكامل » .

ثم نرى المراجيحى يقول لك « الفرد والنوع » والصواب الفرد والجنس لأن الشجرة الاولى التى يراها الطفل ان كانت شجرة تفاح مثلا فهى لاتمثل لى نوع اشجار التفاح وحده بل جنس الشجر على أنواعه . ولسنا بصدد تصحيح رأى شوبنهور فقد يكون العقاد نسخه بسوء فهمه أو تعمد الاقتضاب كيلا يظهر موضع توليده أو فساد توليده ، بيد أن العقاد يقول بعد ذلك : اين تتفق فى هذا الرأى واين تفترق (ما شاء الله اين يتفق العقاد وشوبنهور واين يفترقان . . . ؟) واين يتساوى القول بان الجمال « فكرة » والقول بان الجمال « حرية » ؟ يتساويان حين نذكر « ان الفكرة فى رأى شوبنهور لابد ان تكون بعيدة عن عالم الاسباب والضرورات ومن ثم لابد ان تكون مطلقة من أسر الاسباب والضرورات (فكرة من تكون هذه الفكرة البعيدة عن عالم الاسباب والضرورات ؟ » .

ثم اين يتعارض الفيلسوفان العظيمان : المراجيحى !!! وشوبنهور ؟ فيقول العقاد : يتعارضان حين نذكر ان الحرية لاتكون بغير ارادة وان شوبنهور يخرج الجمال كله من عالم « الارادة الشبيه » الى عالم « الفكرة المجردة » .

وما الذى يرجح رأى فيلسوفنا !!! المراجيحى !!! بأن الجمال هو الحرية على رأى شوبنهور بأن « الجمال « فكرة » ؟ يقول العقاد : يرجح ان الجمال يتفاوت فى نفوسنا ويتفاضل فى مقاييس افكارنا . ولو كان المعول على ادراك « الفكرة » وحدها فى تقدير الجمال لوجب ان تكون الاشياء كلها جميلة على حد سواء .

ونوضح ذلك فنقول : لو كانت الشجرة جميلة لانها فكرة » فقط » لما كان هناك داع لتفضيل فكرة الانسان على فكرة الشجرة (افهموا ياناس) ولا صح لنا ان نزعم ان الناس اجمل من الاشجار (برافو مراجيحى) . ولكننا نعلم ان فكرة الانسان غير فكرة الشجرة (تمام تمام !!!) . وان الفكرتين تتفاضلان فى تقدير الجمال) . صحيح لأن الشجرة تقدر جمال الناس كما يقدر الناس جمالها !!!) . ولابد ان يكون تفاضلهما بمزية أخرى . فما هي تلك المزية ؟

قال المراجيحى : هي الحرية : فالانسان اوفر من الشجرة نصيبا من الحرية (برافو برافو !!!) ولذلك هو اجمل منها (باسلام باسلام على هذا المنطق فى رأى من هو أجمل منها ؟ فرأى الجبل بالطبع لانه لابد من حكم بينهما يحكم أيهما الاجمل .

والا فما الذي يمنع الشجرة ان تحكم لنفسها كما حكم الانسان لنفسه ؟ .) .

قال المراجيعي الفيلسوف ! ، وكذلك تتفاوت ، الفكرات ، فلا يغنينا القول بان الجمال فكرة عن القول بأن الحرية هي المعنى الجميل في الفكرة ، أو هي التي تهب الفكرة ما فيها من الجمال (١)

إلى هنا يظهر أن العقاد يفكر ويصحح لشوبنهور . ولكنه سقط بعد ذلك على أم رأسه مر أظهر الجملة التي منها سرق . فقال : وقرر شوبنهور أن المادة الصماء لا جمال فيها ولا أنس لديها ، وانها تقبض الصدر وتثقل على الطبع (كالماس والزمرد والذهب مثلا فهي مادة صماء ولا جمال فيها وتقبض الصدر وتثقل على الطبع !!)

قال : فلم كانت كذلك ؟ ألأنها عارية عن الفكرة ؟ كلا فما من شيء محسوس إلا له فكرة مكنونة في رأى شوبنهور . ولكنها تقبض الصدر وتثقل على الطبع لأنها تمثل الركود والجمود أو تمثل الجزء من الارادة والحرمان من (الحرية) . وقد ذكر شوبنهور نفسه بعض هذه العلة وقال : « ان الحزن الذي تبعثه ، المادة غير العضوية ، في نفوسنا آت من أن هذه المادة تطيع قانون ، الجذب ، طاعة تامة في حيث تتجه الأشياء . أما النبات فان منظره يشرح صدرنا و يسرنا سروراً كبيراً (كلما ترك وشأنه) . وسبب ذلك أن قانون الجذب يبدو لنا كالمعطل في عالم النبات لأنه يتجه إلى خلاف الجهة التي يجذبه اليها ذلك القانون . وهنا تتخذ ظاهرة الحياة لنفسها طبقة جديدة عالية بين طبقات الموجودات تنتمي نحن اليها وتتصل هي بنا ويقوم عليها عنصر وجودنا فترتاح اليها قلوبنا . الخ

قال العقاد : وإلى هنا يسبق الى ظنك أن شوبنهور سيخلص من هذا القول الى نتيجته القريبة فيقول إن الأشياء تحزننا بما فيها من معاني الخضوع ! وتفرحنا بما فيها من معاني الحرية ! أو أنها تحزننا كلما قل نصيبها من الارادة وتفرحنا كلما عظم نصيبها من هذه الصفة . ولكنه يدع هذه النتيجة القريبة إلى نتيجة أخرى لا تؤدى اليها (نريد لا يؤدى اليها كلامه السابق) .

معنى كل هذا أن العقاد استخرج النتيجة القريبة وقال : ان الجمال هو الحرية وأما شوبنهور صاحب البحث والرأى فغفل جاهل لأنه وضع البحث كله ولكنه استخرج نتيجة أخرى كأن الذي وضع النحو وقسم الكلام الى اسم وفعل وحرف فعل ذلك وهو لا يعرف ما هو الاسم ولا ما هو الفعل ! :

---

(١) كل مانقلناه هو من الصفحات ٧٦ و ٧٧ و ٧٨ من كتاب مراجعات العقاد

أى الارض معتوه واحد يصدق أن شو بنهور يعمى عن النتيجة القريبة لكلامه هو بأم الأعمى هو العقاد الذى لم يفهم ما يريده شو بنهور من أول كلامه الى آخره ، فان محصل كلام هذا الفيلسوف (١) ان ماتراه بسبب من ارادتك وغرضك وشهواتك فجماله فيك أنت لافيه ، لانه صورة الاستجابة الى مافيك ، فلو لم يكن فيك أنت هذا الغرض لم يكن فيه هو ماتخيل لك من الجمال ، فهو على الحقيقة باعتبار الفكرة المجردة لاجمال فيه ، وانما أنت صبغته وأنت أوقعته ذلك الموقع من نفسك . فالنتيجة من ذلك ، ان الاشياء تغرينا (أى لانراها جميلة) كلما ابتعدت عن عالم الفكرة

---

(١) نريد من العقاد وأمثاله اذا ترجموا ان يقولوا ترجمنا وأن يأتوا بالكلام المنقول على نصه ليفهم منه كل قارىء على مايفتح له . ولكن العقاد على انه مترجم يأبى أن يكون مترجماً فيأخذ مايريد أن يأخذ ويدع مايستحسن أن يدع ، لا من حكمة أو فائدة بل على ماتتجه اليه خطته فى السرقة والاغارة على الناس وانتحال آرائهم وأفكارهم وهل كتبه مشحونة بمثل هذا فأنت تجد فيها كل كاتب أو شاعر أو فيلسوف انجليزى ومن كل ما نقل الى الانجليزية على انه للعقاد لا لأصحابه . فان جاء منه شىء معزواً لصاحبه جاء غليظاً كما رأيت فى كلام شوبنهور تستطيع ان تنقده وترده بأيسر التمحيص لأنه على قدر فهم العقاد لأصل ما وضعه قائله اوكاتبه . وليس هذا وحده بل مع فهم العقاد وشعوذته على القراء وسوء قصده من الغرور والوقاحة . فالامر كما ترى أشبه برقيع يدعى النبوة والوحى ويعمل على انه نبى ويكابر فى انه غير نبى ، فكل ماجاء به عاليا عاليا لرجع بطبيعته وطبيعة عمله الاسافلا سافلا .

ولأجل هذا فنحن لانثق ان ترجمة العقاد عن شوبنهور هى نص معانى شوبنهور على أغراضها وسياقها فلا نتعرض لهذه الآراء ولانقول فى تفسيرها وانما نذهب الى ماتظنه الاصل فى غرض الفيلسوف مجملا غير مفصل وخاصا بالجمال وحده دون ماتفرع من هذا الأصل .

والرأى الفلسفى الصحيح ان الحواس الانسانية زائفة لاتستطيع ان تحكم على الأشياء فى ذواتها وحقائقها ، ولا ان تتبين ماهى فى كنه انفسها . فليس فينا الا نسبة هذه الاشياء الينا كالذة نلائم مادة اوتقاربها او تداخلها اوتضادها .

اما فكرة الشىء فى ذات نفسه كما هو فى كنهه ، وانما نحزن ونكتئب لمنظر المادة الجامدة اذ لاتقاومه الجذب ونفسر لمنظر السابحة اذ يقاومه ولا ينقاد الا على الخلاف ، فهذا كله تخليط فى تخليط ، وعاقبة أكلة تغلبة من التربيط . . . . . .

واقتربت من عالم الارادة ، وانها تفرحنا كلما ابتعدت من عالم الارادة واقتربت من عالم الفكرة » (١)

وهذا الرأى هو الرأى الصحيح فى معنى الجمال وبه يؤول اختلاف الناس فى تقدير جمال الاشياء ، لأن الجمال فى أهوائهم وأذواقهم ومعانى نظرهم . وقد روى الجاحظ ان رجلا تزوج امرأة لم تكن رائحة أنتن من رائحة جلدها، فلما كان زفافها دلكت جسمها بالمرتك لتزيل هذه الرائحة الخبيثة وبقيت تفعل ذلك فى سر من الرجل ثم غفلت يوما فاطلع على شأنها وأصابت هذه الرائحة منه هوى وجدبه نشاطا و . . رو فنهاها أن تغشه من بعد لانها لاتجمل فى هواه الا بهذه الرائحة . فكانت إذا سألته حاجة ومنعها ، قالت والله لا "مرتكن ! فيبادر الى قضاء حاجتها خيفة أن تطيب ريح جسمها

هذا هو عالم « الارادة المسيئة » فى رأى شوبنهور فأى جمال فى صاحبة تلك الريح الخبيثة ، وهل يصطلح الناس فى عالم « الفكرة » على جمال تلك الريح كما رآها ذلك الذى ابتعد عن عالم الفكرة وارتطم فى ارادته ؟

على مثل تلك الطريقة من الغباوة وسوء الفهم وقبح الاجتراء والغرور والحماقة تجد كل مايولده العقاد أو أكثره ثم يزين له لؤم نفسه أنه هو وحده الذى يهدى الى أسرار الاشياء ويلهم حقائق المعانى فيزدرى الناس ويتدرى عليهم بالطعن والتسفيه ويقول فيهم مالو عقل أو أنصف لما قاله الا فى نفسه .

ولو تأملت ما كشفناه من سرقاته الشعرية لرأيت ان تلك هى قاعدته فى التوليد فلن يأتى بمعنى واحد أحسن من أصله وهذا حسبك فى الدلالة على قيمة الرجل وبيان منزلته . ولو كفى الوقاحة وحدها لامكن أن يفلح لان كل رذائله فروع من هذا الاصل ترجع اليه واحدة واحدة ولكن كذا خلق ولن يغير الامس وقد مضى ، ولن يرجع له أب آخر وأم أخرى وحارات وأزقة . . .

ولا بأس من هذا الخبر . استفتى المراجيحى مرة رجل من العراق فى أمر القديم والجديد ومناظرة كانت بين فلان وفلان ، فخلط العقاد على طريقته ولكن الذى راعنا مما كتب أنه قال ان كتاب العرب لم يجيدوا فى المعانى المطولة ، بل كانوا إذا طرقوا هذه الموضوعات أسفوا وضعفوا واجتنبوا الاساليب الادبية المتسقة وأخذوا فى أسلوب سهل دارج لايختلف عن أسلوب الصحف اليومية عندنا (يعنى لايختلف

---

(١) هذه النتيجة هى التى استخرجها شوبنهور قبل العقاد وليس بعجيب أن يراها خطأ لانه لم يفهم ما بنيت عليه كما رأيت .

عن اسلوب العقاد ؟ ؟ ؟ .) في شيء كثير . قال : « ومن شك في ذلك فليرني صفحة واحدة من مصنف عربي في مبحث من المباحث الاستقرائية مكتوبة بلغة تضارع لغة الادباء في الرسائل والمقامات ؟؟ أو يصح ان يقال انها لغة أدبية ذات طريقة محض عربية (كذا) قال : ولست أكلف المخالفين لرأيي أن يجيئوني بصحيفة عالية البلاغة من كتاب فلسفي أو منطقي . فهذا قل أن يتيسر في لغة من اللغات ولكني أكلفهم أن يجيئوني بصفحة واحدة (عجايب) بليغة من موضوع في الموضوعات الخطابية المرتجلة التي تكلم الجاهليون في مثلها على البداهة . انهم لا يستطيعون » انتهى بحروفه

انظروا أيها الناس اهذا كلام رجل يكتب بعقل أم بوقاحة . وهل اطلع هذا المراحيضي على كل ما كتبه العرب ؟ وان كان أطلع على كل كتبهم فهل قراها كلها حتى أيقن أنها خالية ، من صفحة واحدة ، تكون بليغة في موضوع فلسفي أو منطقي أو علمي ؟ وهل انتهى الينا كل ما الفه كتاب العرب أو كل ما زعموه ليقرأه المراحيضي ويجزم بانه ليس فيه صفحة واحدة من ذلك .

وكيف لعمرك يكتب مثل الجاحظ اذا ترجم أو كتب في موضوع علمي ؟ أينزل عن طريقته ويفسد اللغة كلها ليجيء بكلام بارد ككلام العقاد والصحف اليومية ؟

على أن أديبا قابل العقاد بعد هذه المقالة وقال له ان للجاحظ رسالة كاملة تملأ نحو مائة صفحة في مثل هذه الموضوع وهي من أبلغ ما كتبه وكلها عالية الطبقة في اسمى مابلغ اليه الجاحظ بفنه وعبارته وأسلوبه (١) . أتدرى أيها القارئ بماذا أجاب الرقيع ؟ لم يقل للاديب أطلعني عليها ، ثم أقر أنه لم يطلع عليها ، ثم قال . (إيه ياترى . ؟) قال إنها غير مرتبة ؟؟ ؟؟

هذا والله جوابه بحروفه . رسالة لم يقرأها و لم يعرفها ومع ذلك يقول انها غير مرتبة . وسبحان الله ولا إله الا الله

على ان هذا يؤخذ دليلا على وقاحة هذا الكاتب وعنته ومكابرته وان لسانه دائما يستمد من طباعه قبل أن يستمد من عقله فيسبق بما في قلبه أو في نفسه قبل أن يجيء بما في نظره أو في عقله ـــ يؤخذ أيضا من الادلة على جهل العقاد بالبلاغة وأساليبها وكيف تكون وكيف تنقاد . وان رجلا من بلغاء الناس كعبد الحميد أو ابن المقفع أو سهل بن هارون أو الجاحظ او من في طبقتهم لو هو تناول أعسر المواضيع العلمية

---

(١) هي رسالة « الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير » ميين فيها حكمة الخالق في انواع خلقه و يرد على ما انكره المعطلة من معاني الاشياء واسبابها الخ الخ

الصيغ بأسلوبه وأزل الكلام فيها على طريقته وأخرج النغم الانشائي حتى من الحجر ومن التراب ، لان الاسلوب انما هو صورة مزاجه اللغوى ، فان لم يجد له المعانى التي يطلبها العقاد خاصة بالمواضيع الأدبية أو الخطابية وجد له اللفظ ووجد له النسق . ومتى وفق كاتب فى الفاظه ونسق الفاظه ، فقد استقامت له الطريقة الادبية وجاء اسلوبه فى الطبقة العالية من الكتابة . واكثر كلام العرب يخرج على هذا الوجه فتراه بليغا فى أدائه رصينا فى الفاظه متينا فى عبارته ولا طائل من المعنى وراء ذلك .

غير ان العقاد وأشباهه من سوقة الكتاب وعوام المتعلمين انما يدافعون بمثل ذلك القول عن جهلهم وعجزهم وانحطاط اساليبهم كأنهم يقولون انما ابتلينا بالضعف والغثاثة والركاكة من جهة أنا نكتب فى المعانى العلمية والاجتماعية والاستقرائية والطبابية ؟؟؟ ولو قد كان العرب كتبوا فى مثل هذا لكان كلهم عقادا شقادا ؟؟؟ (١)

أنا أفتح الآن الورقة الأولى من كتاب الجاحظ فاذا هو يقول فى حكمة زرقة السماء : فكر فى لون هذه السماء وما فيها من صواب التدبير فان هذا اللون أشد الالوان موافقة للابصار وتقوية بها حتى ان من صفات الاطباء لمن أصابه شيء أضر ببصره إدمان النظر الى الخضرة وما قرب منها الى السواد وقد وصف الحذاق منهم لمن كل بصره الاطلاع فى إجانة خضراء مملوءة ماء . فانظر كيف جعل هذا الاديم أديم السماء بهذا اللون الأخضر الى السواد لتمسك الابصار المتقلبة عليه فلا ينكى فيها بطول مباشرتها له فصار هذا الذى أدركه الناس بعد التفكر والتجارب يوجد مفروغا منه فى الخلقة . . .

فكر فى طلوع الشمس وغروبها لاقامة دولتى النهار والليل فلولا طلوعها لبطل أمر العالم كله فكيف كان الناس يسعون فى حوائجهم ومعايشهم ويتصرفون فى أمورهم والدنيا مظلمة عليهم وكيف كانوا يتهنون بلذة العيش مع فقدهم لذة النور وروحه . فالأرب فى طلوعها ظاهر مستغن بظهوره عن الاطناب فيه . ولكن تأمل المنفعة فى غروبها لم يكن للناس هدو ولا قرار مع عظم حاجتهم الى الهدو لراحة ابدانهم وجموم حواسهم وانبعاث القوة الهاضمة لهضم الطعام وتنفيذ الغذاء الى الأعضاء كالذى تصف كتب الطب من ذلك . ثم كان الحرص سيحملهم على مداومة العمل ومطاولته الى ما تعظم نكايته فى أبدانهم ، فان كثيرا من الناس لولا جثوم هذا الليل بظلمته عليهم لما هدؤا ولا قروا حرصا على الكسب والجمع ، ثم كانت الارض ستحمى

(١) شقاد يعنى عقاد على حد قول العرب شيطان ليطان

بدوام شروق الشمس واتصاله حتى يحترق كل ما عليها من حيوان ونبات فصارت بتدبير الله تطلع وقتا وتغرب وقتا بمنزلة سراج رفع لأهل البيت مليا ليقضوا حوائجهم ، ثم يغيب عنهم مثل ذلك ليهدؤا ويقروا فصار الظلمة والنور على تضادهما متعاونين متظاهرين على مافيه صلاح العالم وقوامه .

ثم فكر بعد هذا فى ارتفاع الشمس وانحطاطها لاقامة هذه الازمنة الاربعة من السنة وما فى ذلك من المصلحة . ففى الشتاء تغور الحرارة فى الشجر والنبات فتتولد فيه مواد الثمار ويستكثف الهواء فينشأ منه السحاب والمطر وتشتد أبدان الحيوان وتقوى الأفعال الطبيعية وفى الربيع تتحرك الطبائع وتظهر المواد المتولدة فى الشتاء فيطلع النبات وينور الشجر ويهيج الحيوان للسفاد . وفى الصيف يحتدم الهواء فتنضج الثمار وتتحلل فضول الابدان ويجف وجه الأرض فيتهيأ البناء والاعمال . وفى الخريف يصفو الهواء فترتفع الامراض وتصح الابدان ويمتد الليل فيمكن فيه بعض الاعمال الطويلة إلى مصالح أخرى لوتقصى ذكرها طال الكلام فيها . . .

والكتاب كله من هذا النسق وبمثل هذه العبارة . وهذا الاسلوب وقد يعلو فيه حتى يفوت أسلوب الرسائل وانما يمكنه من ذلك مزاجه القوى وحسن هضمه اللغة فى نفسه واحاطته بمفرداتها فى كل باب وكل معنى فما يعجزه قبيل من الكلام ولا فن من القول فى منطق أو فلسفة أو اجتماع وما داخلها نوعا من المداخلة أو أشبهها وجها من الشبه . وانما الجاهل الغبى الركيك الذى يحتسب اللغة لغتين فى القلم البليغ هو العقاد المراحيضى، لانه لا يحسن شيئاً من كل ذلك ولم يطلع ولم يقرأ لمن احسنوه ويأبى أن يقر فى حيزه وحيز أمثاله فيتطاول بعنق الزرافة ويذهب بزعم ويخلق من أكاذيبه ومزاعمه ولا يخجل أن يقول هات صفحة واحدة . نشدتكم الله أيها القراء إذا لم يكن هذا هو الجهل المركب فما هو الجهل المركب ؟

* * *

ونعود الآن إلى توليد العقاد وسوء ملكته فى ذلك وكيف يصنع أقبح الصنع مما يدل على ضعف وبلادة وعامية فى الطبع وإذا فسد توليده وزل فى معانيه فما بقى فى الرجل الا اللص ، وهذا ما نقول به ونقرره ولا نظن أحداً ممن يقرؤن « السفود » يكابر فيه فلقد غسلنا وجه هذه العجوز . . وانتزعنا (طقم الاسنان) من فيها وقلنا لوجهها انطق الآن يا . . . . . .

قال صاحب مرحاضه أو المراحيضى فى صفحة ١٤٦ من ديوانه أو من بلده !! يتغزل

صفه فى كل كساء صفه فى كل الجهات
هو فى الروضة إذ يمشى أحب الزهرات
وهو فى القفر رياض من هوى لا من نبات
ثم والله فبالـ ـت به بعض البنات
ثم حتى أتعب العيـ ـن بفرط الحسنات

هذا من أحسن شعر المراحيضى ، ولكن لا تنخدع وقش وانظر كيف يجيء بأسخف توليد فى البيت الذى هو أحسنها أى فى البيت الأخير .

تقول : « صفه فى كساء » حتى فى كساء شحاذ قذر ؟ حتى فى كفن ميت ؟ حتى فى ثوب مصاب بالجذام ؟ أيا حبيب المراحيضى ! لا تقابله إلا وفى يدك كرباج سودانى .

« صفه فى كل الجهات » حتى فى الكنيف ؟ أيا حبيب المراحيضى ، الكرباج الكرباج .. والبيت الثانى من قول القائل :

تظنه الروضة إما مشى فى أرضها أجمل أزهارها

وقلب ابن المهدى هذا المعنى فجاء به طريفاً إذ جعل الحبيبة تغنى عن الروضة كلها فقال :

خلتها فى المعصفرات القوانى (١) وردة من شقائق النعمان
أنت تفاحتى وفيك مع التفا ح رمانتان فى غصن بان
وإذا كنت لى وفيك الذى أهـ وى فما حاجتى إلى البستان ؟

وأثقل شعر على النفس جعل المراحيضى حبيبه (فى القفر) رياضاً من هوى لا من نبات !!! أهذا ما يجعل للحبيب قيمة فى القفر ولو قيمة بصقة ماء .. ؟ ولو قيمة عود نبات يابس ؟ أليست بصقة ماء عند (القفر) أفضل ألف مرة من روضة هوى فى خيال معتوه ؟ . . . . الكرباج ياحبيب المراحيضى .

وتشبيه الحبيب بالروضة كثير ، ولكن لم يقل أحد روضة هوى فى قفر غير هذا البارد الفاسد الخيال .

ويقول (ثم والله فبالت به بعض البنات) .. الكرباج الكرباج .. هل فى

---

(١) القوانى أى الحمر

الدنيا حبيب يقبل من محبه أن يقول له يا ليت بك العيوب ؟ وفسر الهنات بالعيوب الطفيفة فما هى العيوب الطفيفة التى يتمناها هذا الاحمق فى حبيبه وخلقته وجماله ؟ ولكن لعن الله التوليد اللئيم واللصوصية الوقحة . فأنظر كيف صنع الشاعر حين قال :

ما كان أحوج ذا الكمال الى عيب يوقيه من العين

فهذا هو الاحمق العقاد لان الشاعر يخشى كمال حبيبه من اصابة العين فلا يتمنى أن يبتليه الله بعيب لان هذا التمنى لايكون من قلب محب ولا يجيء إلا من كبد غليظ بل يقول « ما كان أحوجه » وكان هنا فى منتهى الرقة والظرف كما ترى وهى تكاد تذوب حنانا وعاطفة

ويقول المراحيضى : تم حتى أتعب العين بفرط الحسنات

قل لحبيبتك : أتعبت عينى ، ثقلت على عينى ، عينى (بتوجعنى) من فرط حسنك ! ! ! الكرباج الكرباج ياحبيب المراحيضى ! ان لم تكن أيضا مغفلا رقيعا غليظ الحس

ان كل ما أتعب ترغب العين عنه وترى راحتها فى إغفاله وما يكون مثل هذا فى وصف الجمال المشرق ولم يقله الا العقاد وحده فى بلادة وغباوة وجفاء بربرى همجى . ولياتنا من استطاع ببيت واحد لشاعر سليم الذوق يذكر فيه « تعب عينه » من فرط حسن محبوبه ونحن نكسر هذا القلم ونسلم بكل مايدعى .

انظر كيف صنع ابن الرومى فى قوله

وفيك أحسن ما تسمو النفوس له فأين يرغب عنك السمع والبصر

هكذا هكذا . ثم يعبر فى شعر آخر عن معنى تمام الحسن تعبيراً فى غاية الابداع يثبت المعنى الذى أراده المراحيضى فى نفسه وينفى مع ذلك تعب العين كأن فى العين من أجل الحبيبة طبيعة غير طبيعتها التى خلقت عليها فيقول

أى شىء لاتسأم العين منه أم لها كل ساعة تجديد

هذا والله هو الرقص المطرب ولو قاله أكبر شاعر فى أكبر أمة لزاد فى أدبها . وانظر مع كل ما رأيت كيف عبر الشاعر العربى الذى لم يدرس ولم يتعلم ولم يجمع كل ديوان شعر وكتاب أدب فى الانجليزية ولم يكن جبار ذهن ! ، كيف عبر عن خبرته فى تمام حسن حبيبه وفرط جمالها فى رأى نفسه وكيف أبان عن المعنى الفلسفي الدقيق الذى انتهت اليه الفلسفة الحديثة فى وهم الجمال ، وأنه فى الناظر لافى المنظور والشاعر هو بشر بن عقبة العدوى فى قوله .

فوالله ما أدري أأنت كما أرى   أم العين مزهو اليها حبيبها

بديع بديع ، حلو حلو ، شعر كالحبيبة وان كان مولدا من قول امرىء القيس

أهابك إجلالا وما بك قدرة   علي ولكن ملء عين حبيبها

ولكن ليس هذا كله من غرضنا بل غرضنا أن نبين كيف تهيأ للعقاد المعنى (أتعب العين) وكيف ولده لأن ذلك دليل قاطع على أن شعره من الشعر كالمرحاض من القصر .. وانه ليس هناك ولايقال له الا ماقال الأول

فعد عن الكتابة لست منها   ولو لطخت ثوبك بالمداد

وكذلك يقال له لست من الشعراء ولو بال فى أفخر أثوابك عزوزلتقول فيه مرحاضه أفخر أثوابنا ...

لابن الرومي فى هذا المعنى بيتان ولا بد ولا بد أن يكون المراحيضى سرق من أحدهما : الأول قوله وصف المهرجان :

مهرجان كأنما صورته   كيف شاءت مصورات الأماني (١)

يكل العين لحظة ثم ينهى   طرفها عن ادامة اللحظان

ومعناه أن هذا المهرجان من كثرة أضوائه وزينته لاتستطيع الأعين أن تحدق فيه طويلا . فنقل ذلك الى المعنى الشعري وجعل له سلطانا ينهى به العين فتغض . فان كان العقاد سرق من هذا فقد فهم أن العين تتعب وأنه اذا جعل مكان المهرجان حبيبته وجعل حسنه هو الذي يتعب العين الخفية السرقة وصار المعنى عقاديا شقادياً . فحبيب العقاد هنا خمسون ملية من مصابيح علاء الدين Alladine التى تضاء بطنطنط الغاز ومائة مصباح كهربائي قوة مائة شمعة ، وبعبارة مختصرة ياحبيب المراحيضى أنت دكان فراش ... آه لو كان معك الكرباج السوداني من قبل .

والبيت الثاني لابن الرومي قوله .

لايبس الا وفيه أحسنه   فالعين منه اليه تنتقل

وهو تكرار لقوله (وفيك أحسن ماتسمو النفوس له (البيت) ونحن نرجح أن العقاد سرق من هنا لأن هذا الصنيع هو الأشبه بغباوته وفساد توليده ، فقد تصور هكذا : اذا كان لاشيء الا وفيه أحسنه ، فقد تم ، واذا كانت العين تنتقل منه اليه و إليه منه فهذا لاينتهي ، ولا يمكن أن ينتهي الا اذا تعبت العين والانتقال الذي لايزال من

---

(١) فى الديوان مغيرات وهو خطأ

هنا الى هناك ومن هناك الى هنا انتقال متعب فيخرج من القضيتين أن تمام الحسن يتعب العين فيكون نظم هذا الكلام هكذا :

ثم حتى أتعب العين . . .

وهكذا يكون شعر اللصوص الأغبياء ومثل هذا القراء ينخدع فيهم المغفلون ويسمون مثل هذا المراجيضي جبار ذهن . . ويغرونه بنفسه فيظن ويظنون أن الأدباء يعبؤون به ويمد له الظن فيحسبهم يخشونه ثم يمنيه وهمه ولؤمه . فاذا هو يثور بهم و ينتقصهم ويلقاهم بعامية أصله وسفاهة دمه وانه لأهون عليهم من سحق نملة لو عركوه وأقذر من شق ذبابة لو تركوه . . . .

اكتشاف كيماوى

بواسطة النحل

كيلو من السكر ثمنه اربعة آلاف جنيه

كان الكيماوى الامريكى الذائع الصيت البروفسير هيدسن يشتغل مع زميله النمساوى الدكتور جينوباسكى فاكتشفا نوعا جديدا من السكر بطريق الصدفة الغريبة . فقد طلب منهما مزارع كبير من مزارعى ترانسلفانيا أن يحللا قرصا من عسل لشكل غير مألوف . فقررا بعد الفحص المبكر وسكوبى أنه مأخوذ من عصارة الصنوبر وتوصلا بعد البحث الدقيق الى معرفة حقيقة الواقع . فقد اغتيس المطرق هاتيك الاصقاع واشتد القيظ فيبست الزهور التى كان النحل يجنى منها عسله . ولما لم يجد أمامه مايقوم بحاجته دفعته غريزته التى لاتخطىء إلى شجر الصنوبر الكثير فى تلك النواحى فوجد فى ثمار المادة اللازمة لتكوين عسله وملء خلاياه وقد حول الكيماويان قرص العسل الى سكر مذكور فحصلا منه على كيلو جرام اطلق عليه جديدا وهو تيكانوز .

ولما كانت هذه الكمية من السكر هى الوحيدة التى استخرجت من الصنوبر فقد عدها الاميركيون تحفة نادرة وقوموها بعشرين الف دولار أى بأربعة آلاف جنيه مصرى

أدبنا الطبي

على ذكر صدور كتاب (الطبيب والمعمل)

بقلم الأديب المجدد والصحفي المعروف الاستاذ أحمد خيري سعيد

أعتبر صدور كتاب (الطبيب والمعمل) باللغة العربية معجزة . ولا أعني بذلك أن أخلع على صديقي الدكتور زكي أبوشادي بك طيلسان العبقرية في الطب فكم ذا يكون هذا الرداء السحري مطرحاً فوق من لم يميز بنعمة الخلق والابتكار .

وقد كنت أكل الى الاخصائيين أمر هذا الكشف عن الجديد في كتاب صديقي الدكتور الذي اشتهر — لحسن حظه وسوء حظه معاً — بأنه شاعر يسير في طليعة المجددين. ففي البلاد التي تتطور على غير سنة مألوفة من حال يلبث الى طور لنا مل. الأمل أن يكون أدنى شيء الى الكمال — في هذه البلاد ، ومصر منها ، يسوء حظ الجارين أخدان الجرأة وأصحاب المذاهب الحديثة بقدر ما يصير هذا الحظ حسناً : يسوء في الجيل الحاضر ، ويتصقل رونق حسنه . لكن صديقي البروفسير الدكتور خليل عبد الخالق قال في تعريفه بالكتاب ما يعفي الدكتور الشاعر أن يتغربه من جهة أنه منتج في فنه الطبي ، كما هو منتج في فنه الشعري . واليك الذي قاله :—

« تناول الكتاب الامراض الشائعة في مصر والتي يحتاج الطبيب فيها الى الاستعانة برأي المعمل ، وقد بين المؤلف أفضل ما يتبع من الطرق للوصول الى نتائج حاسمة ، وابتكر بعض التعديلات في فحص تلك الأمراض ، فجاء الكتاب ملائماً لحاجة الطبيب المصري وظروفه الخاصة أكثر مما يمكن أن يحصل عليه من المؤلفات الاوروبية في تلك المواضيع » .

وتلك ليست المعجزة التي وقعت يوم صدور الكتاب . كلا ، وليست المعجزة أن الدكتور الصديق نجح ووفق في التغلب على معضلة المصطلحات العلمية بطريقة ، لولا المجلة في إصدار الكتاب لعشر ورات علمية ورجاء الانتفاع به ، لكان قد حلها أو كاد . فالدكتور أبوشادي شاعر غزير المادة اللغوية ، يصطفي الألفاظ ويفهم سر العربية لغة وبياناً .

المعجزة وقعت لان كتاباً ضخماً يبلغ الثلاثمائة صفحة في موضوع كهذا قد أبدع



الاستاذ الدكتور أبوشادى

صورة كاريكاتورية من ريشة الرسام المبدع الاستاذ فريفون ضمنها ما اشتهر به الدكتور أبوشادى من مواهب علمية وأدبية ومن تخصص فى البحث الميكرسكوبى وفى علم النحالة ، الى جانب افتنانه بالشعر والنقد الادبى .

ونشر . وقد أضيف إليه ملحق تصويري يشتمل على الحشرات من الصور . وسواء أقدر لهذا الكتاب أم لم يقدر له البقاء على رفوف المكاتب فان مجرد الاقدام على طبعه ـ مثل بذل النفيس من الوقت والمال والتعب في مراجعة أمهات الكتب العديدة ـ لامندوحة عن وصفه بأنه تضحية ، بل هو تضحية حتى ولو در الكتاب على شاعرنا الدكتور ما تدره روايات كونان دويل على صاحبها : ذلك بأن الجرأة على اصداره لايمكن أن تستحوذ عليك مما سوى مايشبه اليأس أو أمض . وكفى بحسرة اليأس تضحية .

ولماذا أغمط صديقي فضله فأكتفي باذاعة هذه التضحية وهو أزهد إنسان في أن ينبه ذكره بما هو أهله ؟ لماذا لاأقول كلمة قصيرة عن مشتقات لاأدعي أنه تجشمها ، وإنما أجزم بأنه ذللها في غير مالاعنات واجهاد .

أنا مثل الدكتور أبي شادي فيما يتعلق بنقل المصطلحات العلمية . وقد جاء رأيه الذي نشره في أحد أعداد (المقتطف) مطابقاً لرأيي تماماً ـــ رأيي الذي نشرته من قبل في صحف لعل الصديق لم يطلع عليها ، أو لعل عقلنا رأيه منذ أن صدرت الطبعة الاولى من قاموس شرف الطبي ، فوليس من البعيد عليه أن يلاحظ نفس مالاحظته . والحق أن هذا الرأى أتشكل به وأدق الى أن يكون من عندياته .

والرأى هو أن نقل المصطلحات العلمية الى العربية يحسن أن يضطلع به مجمع مؤلف من أخصائيين في فروع العلم بنضم اليهم نفر من اللغويين الثقاة الاثبات . وأنا مثله لاأذهب مذهب الذين يقولون بامكان ـــ أو بضرورة ـــ تعريب المصطلحات العلمية اختيالا وعجباً بأن العربية تسع كل شيء وتعبر عن كل شيء .... وبعبارة أصح أنا وإياه نذهب مذهب الذين ترجموا الكتب الاغريقية الى العربية في صدر الدولة العباسية ، لانرى من ضير في أن تزيد في ثروة اللغة بمثل كلمات «الفلسفة» و«السفسطة» وما الى ذلك بسبيل ، مع تعريب مايمكن تعريبه .

وهذا الرأى قد حققه الدكتور على وجه بديع في كتابه هذا ، فراح يقول عن «vaccine» «الفكسين» وعن «syphilis» «السفلس» . ومن جهة أخرى راح يعرب «virulence» بالذعافة ، ويعرب «vegetative» «بالنباتية» .

بالاختصار هو قد أخصب العربية وأغناها ، معتقداً عن حق بأن اللغات وضعية وليست وحياً من السماء ! ومصر وشقيقاتها الناطقات بالضاد تفيد بهضتها من أمثال الدكتور أضعاف أضعاف ماتفيد من الجامدين الذين لم يفقهوا سر اللغة التي يدعون أنهم سدنتها والحراس على تراثها ؟

أحمد خيرى سعيد

التعاليم البهائية

رد على رد

عجباً لناقد تهجم على أرقى التعاليم التى تسمو بالعالم إلى مدارج الفلاح والنجاح وعلى مبادى "السلام العام والحرية والمساواة ونبذ التعصبات . ومع ماسبق أن نوهت به فى ردى عليه فى عدد العصور الماضى بأن السب والاستهزاء سلاح العاجز ، عاد يكرر أقواله السابقة وينسب المبادى" البهائية إلى السخف تارة وإلى السرقة من الأديان تارة أخرى ، فاتبع فى ذلك أثر العرب الجاهلية الذين كانوا يقاومون الرسول صلى الله عليه وسلم ويرمونه بالجنون قائلين (أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون)

ومنذ بدء الخليقة افترق العالم صنفين فمنهم المؤمن ومنهم الكافر . وقد كفر إبليس اللعين بأول هدى بعثه الله على يد آدم سيد البشر فلم يخضع لارادة الله إذ أمره بالسجود له وتذرع بكل باطل فقال (أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين) كذلك كان الكافرون فى كل زمان يعاندون الرسل ويستهزؤن بهم (ولقد استهزىء برسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا) الآية . وأغلب كلام الناقد فى هذه المرة يدور حول السخرية والاستهزاء (إن تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون) ولقد مثلى بشاب وقع فى شباك البهائية وأخذ الضحك منه كل مأخذ كأنه فى مقصف أو ملهى حتى إذ ملأ" صحائفه السوداء بالسخرية والاستهزاء استدرك نفسه وشعر فى نهاية الأمر وفى آخر المقال بما تفوه به من ساقطة الكلام وهزله لايغنى ولايسمن من جوع فأخذ فى مخاطبتى بالجد وتمخض جبل وهمه عن فأر فقال (والآن نتكلم بجد مع حضرة القاضى) بعد أن طاشت جميع سهامه وفرغ جرابه من حيات ألعابه وثعابين خداعه وانحصر كلامه الجدى على مايقول فى أنه عز عليه أن يرانى مؤمنا بالبهائية وتمنى بتمنيات مستهجنة وأقاويل فارغة ، أن أعيد النظر فى الأمر ، يريد أن يخرجنى من انوار البهائية إلى ظلمات ترهاته ومفاسد نظرياته وحشو مفترياته ويتحرق قلبه أسى ويتلظى فؤاده جوى (قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور) فلا تحسبنى أيها الناقد غراً فان شمس الحقيقة قد أضاءت فاستضاءت منها جوانحى ، وأنارت فاستنار منها فؤادى

وجرت فى كينونتى مجرى الدم فى عروقى فلا تطمع بالمحال ، وانقذ نفسك مما أنت فيه من الاغلال فانتبه من رقد الضلالة واخلع عنك هذا الثوب الرثيث والبس حلل التقديس. وأما الرجوع إلى مقالتك وآيك فمن المحال ، وقديما كان كفار قريش يطلبون من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعود إلى ملتهم وهددوه بالقتل والفتك (واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك) وما كانت نقمتهم عليه الا أخر وجه من ملتهم وطلبه لهدايتهم فترصدوا له كل مرصد (هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل وان أكثركم فاسقون) .

يذكرني الناقد بما خطه يراعه فى البهائية قديما فى العصور وكتبت فى العدد الماضى ردا بليغا عليه كنت أظن أنه يسكته فلا يعود ينساب بمدحها وأنه من المنصفين وما رأيته فيها كتب شيئا عن تحقيق أو تدقيق بل هزواق سخف بما هو مسئول عنه عقلا وشرعا وأدبا . وانى أعلم أن العقلا والأدباء لا يبغون يتنحوا عن سفاسف الأقوال ويفحصوا عن الحق وهم عالون عن كل غرض ومرض لا أن يتخبطوا خبط عشواء ويركبوا متن العمياء فى سرد أقوال لا يفرقون فيما بين حق وباطل وهزل وجد ولا يكذبون على التاريخ أو يفترون على غيرهم بالكذب . ونعم ما قال ، اذا البينات لم تغن شيئا فالتماس الهدى عناء ويدعى الناقد أن (ماركس أوريليوس انطونيوس) كان أول من شرع قوانين ومبادىء السلام العام مع أن هذا الأمبراطور الفيلسوف كان سفاكا للدماء سفاحا يعاقب المسيحيين على مجرد الأعتقاد فى المسيح أو ترك دين الوثنية بل كان حاكما وثنيا يقرب الذبائح للاصنام ولا يفتر عن عبادتها ، وكم اضطهد المسيحيين لتركهم هذه العبادة الباطلة وتشبثهم بالمسيح واحرقهم بالنيران وعذبهم بالقائهم بين براثن الوحوش الكاسرة . فاذا كان هذا هو داعى السلام فى نظرك فعلى السلام السلام وبئس هذا السلام الذى تحكى عنه . (ان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا) فهذا السفاك الفيلسوف بحضرة الناقد كان يقود الجيوش الجرارة فى الحروب لتدمير الجنس البشرى فكم له من معارك عنيفة فى آسيا واوروبا ومع ذلك تقول إنه أول داع للسلام ولو كان داعيا حقيقيا للسلام لما تحرك ضد السلام .

يا أيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنا كيما يصح به وأنت سقيم

وما رأيت ناقدا أبعد عن العلم بتاريخ العصور القديمة والحديثة منه ، ولو شئنا تعداد اغاليطه وافتراآته لما كفتنا الأوراق ولكن لنسرد له بعض الشيء من الاغلاط الفاضحة الواضحة والتي لايصح لمجلة علمية عصرية كالعصور السكوت عليها .

فمن تلك قوله (ان نابليون الثالث كفر بالبهاء قبل أن يولد هذا الاخير) يعني أن عصر نابليون (١) كان غير مساو لعهد البهاء مع انه كان معاصرا له ووصله انذار منه ، ومع ذلك يدعي الناقد بان البهاء ماولد في زمن نابليون وانه مادعا الى الاتحاد الا بعد الحرب العظمى غافلا أن مولد حضرة بهاء الله في سنة ١٨١٧ ميلادية وهو موافق لسنة ١٢٣٣ هجرية وكتب سلسلة خطاباته الشهيرة لرؤساء الدول في أوروبا وللبابا وشاه العجم وحكومة الولايات المتحدة في سنة ١٨٦٨ وسنة ١٨٦٩ واعلمهم فيها بدعوته وسألهم أن يوجهوا مجهوداتهم لتأسيس الديانة الحقة والحكومة العادلة والسلام الدولي العام . وهذه الكتب مطبوعة ومنشورة منذ أكثر من نصف قرن ففي خطاب الى نابليون الثالث يقول (بما فعلت تختلف الأمور في مملكتك وتخرج الملك من كفك جزاء عملك لذا تجد نفسك في خسران مبين ، وتأخذ الزلازل كل القبائل إلا بأن تقوم على نصرة هذا الأمر وتتبع الروح في هذا السبيل المستقيم . اغرك عزك لعمري لايدوم وسوف يزول الا بأن تتمسك بهذا الحبل المتين، قد نرى الذلة تسعى وراءك وانت من الغافلين .)

وقد قال الدكتور إسلمونت في كتابه « بهاء الله والعصر الجديد » ما يأتي :ـــ

ولا حاجة الى القول بان نابليون الذي كان في اوج قوته لم يهتم بهذا الانذار ففي السنة التالية اشتبك في قتال مع بروسيا وهو على يقين بأن جيوشه سوف تدخل برلين بسهولة ولكن الكارثة التي اخبره بها بهاء الله دهمته فخذل في ساربروك في ميتز الى ان قهر اخيراً قهراً تاما في الفاجعة المؤلمة في سيدان واخذ اسيراً في بروسيا وانتهت حياته بالذلة في انكلترا بعد مضي سنتين .

ولماذا يا ترى يعجب الناقد أن انثلال عرش الخلفاء وعرش الأكاسرة كآية آية لظهور البهاء مع أن هذا أمر واقع واصدق المقال ماصدقه الحال . وقد انذر حضرة بهاء الله وهو في السجن التركي سنة ١٨٦٨ سلطان تركيا ورئيس الوزراء فيها علي باشا

---

(١) جائز ان يكون الاستاذ عنايت قد قصد نابليون الاول

بانذارات واضحة شديدة حيث يقول لسلطان تركيا (ماترجمته) : —

(يامن يرى نفسه أعلى الناس سوف يقضى نحبك ، وتجد نفسك فى خسران عظيم ، لو كان مصلح العالم وعيبه على زعمك مفسداً فما هو ذنب الجم من النساء والأطفال والصغار والرضع حتى يكونوا محلا لسياط القهر والغضب ، قد نهيتم جميعا عن لا تعاقبوا لكم امراً ابداً فى عالكم ولم يعصوكم فى دولتكم وكانوا فى الأيام والليالى مشغولين بذكر الله فى دورهم وخرج ماق يدهم بظلكم وان كفاً من الطين عند الله اعظم من ملكتكم وسلطنتكم وعزتكم ودولتكم، ولو يشاء لجعلكم هباً منبثا وسوف يأخذكم بقهر من عنده ويظهر الفساد بينكم وتختلف ممالككم اذا تنوحون وتتضرعون ولن تجدوا لانفسكم من معين ولا نصير . . . . وان غضب الله قريب وسوف ترون مانزل من القلم الأعلى)

وكتب لعلى باشا ما يأتى : —

(يارئيس قد ارتكبت مايئوح به محمد رسول الله فى الجنة العليا وغرتك الدنيا بحيث اعرضت عن الوجه الذى بنوره استضاء الملأ الأعلى ، سوف تجد نفسك فى خسران مبين واتحدت مع رئيس العجم فى ضرى بعد اذ جئتكم من مطلع العظمة والكبرياء بأمر قرت منه عيون المقربين . هل ظننت انك تقدر ان تطفىء النار التى اوقدها الله فى الآفاق ، لا ونفسه الحق لو كنت من العارفين . بل بما فعلت زاد لهيبها واشتعالها سوف تحيط الأرض ومن عليها ، كذلك قضى الأمر ولا يقوم معه حكم من فى السموات والأرضين سوف تبدل ارض السر ومادونها وتخرج من يد الملك ويظهر الزلزال ويرتفع العويل ويظهر الفساد فى الاقطار وتختلف الأمور بما ورد على هؤلاء الأسراء من جنود الظالمين ، ويتغير الحكم ويشتد الأمر بحيث ينوح الكثيب فى الهضاب ، وتبكى الاشجار فى الجبال ويجرى الدم من الاشياء ، وترى الناس فى اضطراب عظيم . . . . كذلك اتى الحق وقضى الأمر من مدبر حكيم لا يقوم مع أمره جنود السموات والأرضين ولا يمنعه عما أراد كل الملوك والسلاطين . قل البلاء دهن لهذا المصباح وبها يزداد نوره إن كنتم من العارفين . قل ان الأعراض من كل معرض مناد لهذا الأمر وبه انتشر أمر الله وظهوره بين العالمين)

وأظن أن كل انسان رأى بعينى رأسه زوال هذه الدولة التى أرسل لها هذه

الانذارات الشديدة لا يبقى عنده أدنى شك فى أن ذلك من عجيب قدرة شديد القوى حتى لو تتبعنا السنن الطبيعية لعلمنا أنه ما من دولة دالت ولا من سلطنة بادت إلا بعد أن فشا فيها الظلم والاستبداد وسفك الدماء كما يعلمه كل مطلع على التواريخ . وكما قال عليه الصلاة والسلام « ان الدول تدوم مع العدل ولا تدوم مع الظلم »

وأما دعوة الناقد على نفسه بالموت ليكون آية لبهاء الله فلا نجاريه عليه بل نطلب له الهداية من الله وكلنا نعلم أن الموت الحقيقى هو موت العاطفة وموت الضمير وموت الايمان . ونعم ما قال : —

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

وجميع الذين قاوموا الحق وطعنوا فى البهاء ماتوا على أشنع صورة كما يعلمه المتتبع لهم فى مصر وغيرها وكما اطلع صاحب المصور على بعضها حكاه بنفسه لنا (١) ويظن الناقد أن مخالفة يحيى الأزل لحضرة بهاء الله ، ومخالفة محمد على لحضرة الغصن الممتاز يقدح فى قوله « ان البهائيين فى شرق الأرض وغربها اتحدوا وتناسوا الأحقاد » مع أن الأمر بالعكس فليرجع إلى التاريخ قليلا لاطلعه على ان ابن نوح كان معانداً لأبيه ولم يقدح ذلك فى دينه ولا فى اتحاد اتباعه . وكذلك انظر إلى يهوذا الذى أسلم المسيح مع أنه كان من تلاميذه . وكذلك أبو لهب عم الرسول كان أول الناقمين عليه وما قدح كل ذلك فى دينهما قال الله تعالى (لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) الى غير ذلك من الأحاديث والآيات الدالة على ارتباط المؤمنين بعضهم ببعض . وقال تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم)

انتقل الناقد من هنا إلى التعاليم وإذ شاهد سموها لم يقدر على مكافحتها وانما أخذ يتلمس لكل باب من الاعذار فيقول فى بعضها أنها مرنة غير مفهومة . فاذا لم يفهم هذه المبادىء السهلة فلا يلوم الا نفسه — وادعى فى موضع آخر أن أفلاطون قد

---

(١) المصور — كنت أعرف شخصاً يدعى فاضل أفندى كتب كتاباً ضد البهائية اسمه (الخراب فى صدر البهاء والباب) مات مسلولا بمستشفى قصر العينى

سبق بالفكرة وفي بعضها تكلم عن كروية الأرض وانبساطها مثبتاً على وهمه تناقض العلم والدين وفرض أن عالماً أثبت أن الأرض منبسطة .....

فاذا كانت المسائل العلمية مبنية على مجرد الفروض فلا قاعدة للعلم ثابتة . ومن تكلم فيما لا يعلم يهيم فيما يعلم — وشرط العلم بالفهم والعقل حتى يكون علماً صحيحاً لا بالخيال والوهم فانه مردود بالكشف الصحيح والبرهان الثابت . لا بمجرد الفروض التي يدعيها الناقد . وأخيراً ادعى أن البهائية سرقت تعاليمها من الأديان القديمة . وانتقل من هذه الفوضى الفردية الى نتيجة الهياج الذي اخذ أعصابه وكل قواه . فأخذ يعلم بالصور الزيتية التي تباع بالآلاف من الجنيهات . وكيف أنه مد يده ليكسرها . كل ذلك ليبرهن على نظر بسيط — قالها أعرابي في البادية بيت من الشعر لا تكلف فيه ولا غضاضة ولا فلسفة ولا سفسطة حيث قال

«وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدى المساويا»

وخرج من ذلك بفكرة أن عبد البهاء (لابهاء الله) ير يد من ابتكار فكرة محو التعصبات فهكذا يكون الاستنتاج كأنه من على كسر الصور الزيتية وما رتبه على ذلك من المقدمات العجيبة كتسهيل المواصلات بأمر بهاء الله (هكذا) الى استنتاج عقيم وهو قوله إن حضرة عبد البهاء ير يد من ابتكار فكرة محو التعصبات فهكذا تكون الكتابة وهكذا يكون المنطق الذي يشير اليه الناقد في أقواله بعد أن سئم القراء من كتابته في المنطق الهزل والفلسفة بل السفسطة أراد أن يحلى جيده بذكر شيء من الدين إما على سبيل المداعبة أو لئلا يظن القاريء به بانه لاديني فذكر (كلمة القرآن) وطلب مني الرجوع اليه بوجه اجمالي بدون تخصيص . ويعلم الله أني ما استدللت بشيء في جميع مقالي بأكثر من القرآن الشريف .

واذا انتقل الكلام على مبدأ تعديل المعيشة . قدح زناد فكره ليرجع هذا المبدأ الى أحد مخرعيلاته فاستهوته الفكرة من أن يدعي أنها فكرة (كارل ماركس) ذلك الاشتراكي الذي كانت كل دعوته مصروفة الى الاشتراكية الصرفة يعني الاشتراك في الأموال والأنفس وهو ما تنكره البهائية التي تقول بالمواساة لابالمساواة التامة التي يدعيها الاشتراكيون . والفرق بينهما كالفرق بين الثرى والثريا

ولما علم بعد ذلك أن غرض البهائية ليس المساواة ولا الاشتراكية باء بالخيبة فى فكرته والفشل فى مدعاه ، عاد ورمى آخر حبل من أباطيله وأخرج من جرابه آخر حية من حبائله ورمى بها وسط الميدان ، فادعى أن البهائية لا بد وأن تكون سرقت الفكرة من الأديان القديمة . وما درى أن عصى الأمر لو ألقيت عليها وعلى أمثالها لالتهمت جميع ما يأفك ويفترى .

وسنذكر هذا البرهان بأجلى بيان بعد أن نذكر ما أملاه عليه وهمه من خيالات وخزعبلات حيث ظن أنه فى حلقة الذكر أو بنك التسويات وتنظيم البورصة ودخول الحكومة السوق مشترية إلى آخر ما ذكره من الترهات وخارت قواه لما قاسى من هول ما فيه وخرج من كل هذا الهزل الى كلمة ختامية قال عنها إنها جد اعترافا منه بأن جميع ما تقدم من الكلام كان فى غير جد وحسبنا منه هذا الاقرار . وطلب فى كلمته المذكورة رجوعى عن الحق الى باطله وهكذا كما سبقه به أعداء الأنبياء فى كل عصر . حيث قال (الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم)

وترانى ياحضرة الناقد لو رجعت كما تقول لكان منى افتراء على الله بالكذب (قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها)

والآن يدعى الناقد أننا نلقى القول على عواهنه مع أنه هو الذى يفعل ذلك ويدعى أن البهائية سرقت هذه الأفكار من الأديان القديمة وهذا القول منه بلا دليل وشبيه بأقوال المعاندين لكل جديد (كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم) الآية فكم طعن اليهود على دين المسيح وادعى أعداء المسيحية بأن آراءها مسروقة من كتب الاقدمين وكذلك ادعى أعداء الاسلام عليه بأنه سرق تعاليمه من كتب النصارى واليهود وكتب زرادشت وقالوا (أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا) وقد صنف أحد علماء الافرنج كتابا سماه (مصادر الاسلام) وهو فرهوسنت كلاير ومما جاء فيه من غرائب الافتراآت قوله (واذا أمكن بالبحث والتحقيق والتأمل والتدقيق وإقامة الدليل القاطع الذى يكون أوضح من الشمس فى رابعة النهار ان اكثر القرآن وأغلب عقائده اخذت بلاشك

ولاشبهة من الاديان الاخرى، ومن الكتب التى كانت موجودة فى أيام محمد ولاتزال موجودة الآن . فحينئذ يتزلزل أساس الديانة الاسلامية وتنهار كافة دعائمها وتدرس معالمها) كذلك ادعى الذين قبلهم أن تعاليم المسيح مأخوذة من تعاليم بوذا . فلم يغن كل ذلك عن الحق فتيلا . ولولا أن شجرة الديانة باسقة الافنان شهية الاثمار لما تصدى أحدها ولارماها أحد بالاحجار لتسقط من جناها الشهى :

فليرثِ الناقد بنفسه ، وإن كان لابد له من أن يأسف علينا فانا أشد أسفا عليه أيضا ونحن أحرى بهذا الاسف . وأما وصفى بالبوق الذى يردد أقوال البهائية فيالها من صفة فخر لو نلتها لنلت منزلة العليين ولاصبحت اسرافيل هذه الملة المصرية ينفخ فى صورها لعل الناس يقومون من رقد الهوى و يتنبهون من قبور الغفلة والغوى و يحيون من نفثات روح القدس و يستنيرون بسراج المحبة الآلهية و يستبشرون ببشارات الله ويتحلون بحلل التقديس والتنزيه ويجيبون المنادى الالهى فلا أكون بوقا فقط بل صوت الصافور العظيم فى هذه الديار وأنفخ فى الصور الالهى مما يبهت منه أمثال الناقد حتى تتشنج أعصابه كما يقول و يهذى كما يشاء فهذا يوم ينفخ فى الصور ولكنكم لاتشعرون أيان تبعثون (ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا) والحمد لله على ما ألهمهم والشكر له على ما فهم والثناء لمظهره الاقدس بهاء العالمين ونور الخافقين ماحى النيران وماح الاطيان

عبد الجليل سعد

قاضى بالمحاكم الأهلية

المصور — نود أن نقفل هذا الباب ونسد سداً محكماً . لو لا أننا نريد أن نجعل من المصور مسرحاً للفكر الحر . ولا نقصد بالفكر الحر تعضيد مذهب معين ، بل نقصد أن نترك الأفكار حرة على مختلف نزعاتها وتباين اتجاهاتها . غير أننا بجانب هذا أردنا أن نصفى هذه الابحاث قدر المستطاع من الكلم الجارح فاضطررنا إلى تحقيق الكثير مما جاء فى كلمة صديقنا الأديب عمر عنايت ، و لذلك اضطررنا الى حذف بعض العبارات من هذا المقال . على أننا نرحب مع هذا بكل بحث يدور حول هذه الفكرة أو المذهب أو الدين الجديد أو البشارة العظمى أو الوحى الحديث

أما شئت قسمه ، إذا كان البحث دائراً حول المبادىء لا حول الأشخاص خلو من التراشق بالألفاظ الجارحة التي لا فائدة منها ولا ضرورة لها في مثل هذه الابحاث

على أني أنتهز هذه الفرصة لكي أوجه نظر المتناقشين الى مسألة دقيقة ، يجب أن ينصرفوا الى الكلام فيها قبل الكلام فيما يدور حولها من التفاصيل . هي مسألة « الوحي » . وعندى أنه اذا ثبتت صحة الوحي علمياً — وهذا يكاد يكون عندى في حكم المستحيل — فان هذا وحده يكفي من دره كل شبهة عن الاديان . أما التخريجات والتأويلات النظرية فلا فائدة منها ، قبل أن ترتكز على أساس ثابت .



تم انجاز طبع هذا الكتاب النفيس بمطبعة دار العصور على اجمل ورق واحسن رونق وهو يحتوى على مبادىء البهائية مع تطبيقها على القواعد الفلسفية والآراء الدينية والطبية والاجتماعية وهو بقلم اشهر اطباء وحكماء العصر الدكتور اسلمنت ويبلغ عدد صفحاته ٢٥٦ ومحلى بالصور المتقنة وحباً في نشر هذا الكتاب القيم قرر المحفل المركزى بيعه بمبلغ عشرة قروش فقط قيمة التكاليف فاجتهد في الحصول على نسخة منه قبل نفاد النسخ الموجودة وكذلك قرر المحفل ثمن رسالة ما هو البهائي قرش صاغ واحد مع ما فيه من الصور المتقنة وجوده الطبع وما يحتويه من المبادىء العالية .

ابحاث زراعية علمية

الخواص الحيوية للارض

الخواص الحيوية للأرض تلك المزايا التي تكون لها بالنسبة للانواع الحية المختلفة فيها من الحيوان والنبات . اذ لولا هذه الاجسام الحية لكانت الارض أن تكون غير صالحة لزرع ما. فان تفتت جزئياتها لتحضير الغذاء الصالح للنبات إنما يحصل غالباً بتأثير الجراثيم الحية التي في الأرض اما مباشرة أو بواسطة.

فالحيوانات الحية في الارض وخصوصا الحشرات والديدان بما يحدث فيها من ثقوب تعدها لتأثير المؤثرات الطبيعية وتسهل مرور جذور النبات فيها . وكثير من هذه الهوام والحشرات تتغذى من الجزء العضوي في الارض . وخصوصا ديدان تأكل الارض فتمر في أجسامها وتخرج منها كبراز فيه غذاء صالح للنبات أكثر منه لو بقي في الارض بالاصلية : ذلك فضلا عن تحسين الاوصاف الطبيعية للارض اذ تخرج الاجزاء منها ناعمة جدا : فالحشرات والهوام وان يكن كثير منها مضرا بالمحاصيل الا أن الفائدة التي تعود على الارض منها أكثر من الضرر الذي تحدثه ..

ومما يستحق أن يلاحظ أن النبات يجهز الغذاء للحيوان ، والحيوان يساعد في تحضير الغذاء النباتي بما يخرج منه من السماد والجراثيم والجذور وهي الاهم في حياة النبات بالارض فكل جذر يترك أثناء نموه بقايا من خلاياه عند أخذه الغذاء، والحوامض المفرزة من الجذور تؤثر في جزئيات الارض الغير القابلة للذوبان فتذيب بعض المواد فيها والنباتات المختلفة تفرز عصيرا ذا قوة مختلفة في الاذابة وحينئذ فبعض النبات يمكنه تجهيز غذائه أكثر من البعض الآخر ولهذا السبب لا تمكن الفائزة عن على أرض واحدة بحالة واحدة في النجاح . فبينما نرى الترمس مثلا يمكنه أخذ الغذاء المعدني الكافي من أرض رملية غير خصبة . ثم نجد غيره من النبات لا يمكنه أخذ غذائه من مثل هذه الارض عند احتياجه اليه، والمادة العضوية في الارض مكونة من مخلفات النبات والحيوان فهي تحتوي على جميع العناصر الضرورية لتكوين نبات جديد ولذلك فالدبال لاحتوائه عليها مالاغنى عنه . وان كان النبات لا يستفيد منه قبل تحليله تحليله أم

العمليات التي تحصل داخل الارض وألزمها وتظهر أهمية الدبال متى عرف أنه هو الجزء الوحيد في الارض الذى يعطى أهم المواد الغذائية الصالحة (أى الازوت) وليس للمؤثرات الكيماوية والطبيعية عادة فى تأثير المادة العضوية .

فثلا اذا تركت قطعة من الخشب فى الهواء أو الماء النقى تبقى بلا تغيير ، بخلاف ما اذا دفنت فى أرض رطبة فانها تتحلل بسرعة . وفى أرض الصحراء الجافة الخالية من الجراثيم يبقى الخشب بلا تغيير وحتى عصارة الجذور ليس بها تأثير ذو قيمة على المادة العضوية

وبالاختصار فالجراثيم وحدها يمكن اعتبارها عدة لتحضير المواد المفيدة من دبال الارض والارض الخالية من الجراثيم غير خصبة مهما كثر فيها الدبال فمثل هذه الجراثيم الصغيرة للنبات كمثل العصارة الهاضمة للحيوان . فكلاهما محضر للغذاء . فالاول يساعد زغب الجذور على امتصاص الغذاء وتوصيله الى داخل النبات . والثانى فى تمثيل داخل جسم الحيوان . والاراضى المختلفة تحتوى بطبيعتها على عدد مختلف من الجراثيم التى تعيش فيها . وتعدد الجراثيم فى أى أرض يكون أكثر على مسافة صغيرة فى سطحها حيث تجد الوسائل الموافقة لحياتها من مادة عضوية تستعملها غذاء وكذا درجة حرارة متناسبة وكمية كافية من الماء والهواء وبعد عن ضوء الشمس أما تحت مستوى الماء الارضى فلا يوجد الا قليل من الجراثيم بسبب قلة الهواء .

وبتجربة الارض وجد فيها ما يأتى :

فى جرام واحد منها على بعد ٢٠ سنتيمتر من سطح الارض ٦٥٠٠٠٠ جرثومه .

وفى جرام واحد منها على بعد ١٠٠ سنتيمتر من سطح الارض ٣٦٠٠ جرثومه .

وفى جرام واحد منها على بعد ١٤٠ سنتيمتر من سطح الارض ٧٠٠ جرثومه .

وينتج من ذلك أن هذه الجراثيم لها تأثير عظيم على صفات الارض رغما عن صغرها المتناهى لانها توجد فيها بعدد كبير كما أن بعضها يكون مفيدا فى خصوبة الارض كذلك فالبعض الآخر يكون مضرا بها .

لان منها ما ينتج عنه تأكسد فى الارض ومنها ما ينتج عنه احتراق . والاول منها لا يعيش الا بوجود الاوكسجين . وسنتكلم فيما بعد باختصار على بعض العمليات الجراثيمية المهمة ويلزم الانتباه الى نتائجها أكثر من الانتباه لتأثيرها الخصوصى .

تخمر المواد العضوية

يحصل تخمر المواد العضوية بعملية الاحتراق من بعض الجراثيم لانها تأخذ أوكسيجينا من الاوكسيجين المتحد بالمركبات التي تعيش عليها وهذه الفصيلة من الجراثيم التي تنمو داخل أكوام السماد وفي كتل المواد العضوية الى أن تعلل هذه الكتل فتسمح للاوكسيجين بالدخول فيها ولبعض الجراثيم الأخرى بالتأثير — والمواد الناتجة عن التخمر تكون عادة أجساما معقدة التركيب يتصاعد منها روائح كريهة شديدة .

وجراثيم التعفن هي الأكثر تأثيرا في تحليل المادة العضوية وفي انتاج الاجسام البسيطة التي يكون فيها صلاحية لتغذية النبات وهذه الجراثيم تسبب أيضا عمليات التأكسد وحينئذ يكون تأثيرها عند ما يدخل الهواء الخالص الى كتلة المادة المتخمرة فقط . وبها أيضا تتحول المواد الناتجة عن حياة جراثيم التخمر والمادة العضوية البكر الى أجسام بسيطة لا رائحة لها .

وعلى العموم متى أخذت المادة العضوية في التخمر كان التأثير في ذلك لجراثيم التخمر وجراثيم التعفن — فالاولى داخل الكتلة . والثانية على السطح حيث يوجد كثير من الهواء وتخمر المادة الخلوية (أي الجزء الخشبي) في المادة العضوية يحصل بواسطة انواع كثيرة من الجراثيم — فاللون الأسود للارض وللاسمدة العضوية المتحللة يتسبب لون الكربون (الفحم) الناتج عن فقد الماء اي بتحليل المادة الخلوية .

اما اذا وجد الهواء فيحيل المادة الخلوية كلها الى ثاني اوكسيد الكربون وماء . وتأكسد المادة الخلوية تأكسدا سريعاً كما يحصل في كوم سماد كثير المادة العضوية يكون دائما مصحوبا بارتفاع عظيم في درجة الحرارة — وفي عملية التخمر والتعفن وتحليل المادة الخلوية بالجراثيم تتحول المادة العضوية بالاختزال الى أجسام بسيطة كالماء وثاني اوكسيد الكربون وروح النشادر و كربونات و نيترات وفوسفات القواعد المعدنية التي تحتوي عليها . واهم المركبات الازوتية للبول تتحول الى مركبات نوشادرية بتأثير بعض الجراثيم وهذا التحول يمكن ان يحصل بسرعة وينتج عنه روح النوشادر الذي تنتشر عنه رائحة نوشادرية قوية في الاسطبلات واكوام السماد والتعفن وبعض الجراثيم تجهز

المواد الرمادية التى فى المادة العضوية لتغذية النبات ولكن الاجسام الأزوتية لاتكون صالحة للنبات الا اذا تحصل فيها تغير آخر .

الجراثيم المؤزتية

وهذه الخطوة الثانية اى تأكسد النوشادر واحالته الى حمض أزوتيك يحصل بواسطة الجراثيم (البكتريا) المؤزية . وهذه الجراثيم تحتاج فى نموها إلى الحرارة المعتدلة والرطوبة والظلمة وكمية كبيرة من الهواء . وتأزت النوشادر (استحالته الى حمض أزوتيك) يحصل بطريقتين : الأولى استحالته بالتأكسد إلى حمض أزوتوز بجراثيم الأزوتوز . والثانية استحالة حمض الأزوتوز بالتأكسد إلى حمض أزوتيك بجراثيم الأزوتيك . ولمنع تراكم الحمض فى عملية التخمر يجب أن يوجد فى الارض مقدار كاف من الجير يعادل الحمض حال تكونه .

والتغيرات التى تحصل فى المادة العضوية عند استحالتها الى غذاء نباتى هى على النمط الآتى . —



ويظهر من ذلك أن سماد الماشية (السماد البلدى) والمواد العضوية عموماً

لا تكون غذاء مهماً للنبات إلا إذا أثرت فيها الجراثيم حسب التوضيح السابق. وفضلا عن تكون غذاء النبات الأزوتى وغيره من المواد العضوية فان لهذه الجراثيم أهمية عظمى فى احالة الجزء المعدنى للأرض إلى غذاء يمكن أن يمتصه النبات.

والحوامض التى تتكون أثناء تأثير هذه الجراثيم وخصوصاً حمض الكربونيك تزيد للأرض قوة فى اذابة المادة المعدنية . وليست جميع الجراثيم التى فى الأرض مفيدة للمحاصيل فانه يوجد نوع منها يسمى الجراثيم المختزلة للأزوت وهذه تختزل حمض الأزوتيك فينفرد الأزوت الغازى . وفى هذه الحالة تنقص المادة المهمة فى الغذاء. ومن حسن الحظ أن هذه الجراثيم المضرة لا توثر إلا فى الأراضى ذات الخواص الطبيعية الرديئة ويزداد نموها المضر فى الأراضى القليلة الهواء الرديئة الصرف . ومن المحتمل أن يكون ضررها قليلا جداً إلا فى بعض أحوال استثنائية .

وكمية الأزوت المتحد بغيره فى الطبيعة قليل جداً بالنسبة لمجموعه فيها

ومن حيث أن النبات على العموم لا يمكنه امتصاص الأزوت الخالص غذاء له فتثبيت هذا الغاز على حالة المركبات يكون الغرض المهم من خدمة المحصولات .

أما الموجود منه على حالة الاتحاد فى الفحم الحجرى والطفل والأرض فانما يكون تثبيته فيها بتأثير الحياة . وفى بعض الجراثيم النباتية الدقيقة لا سيما نوع منها قوة أخذ الأزوت الغازى من الهواء الجوى ليتحد مع أجسام أخرى فيكون مادة عضوية : وإذاً فالتى تأخذ هذا الأزوت وتحيله الى مركبات صالحة لتغذية النبات العالية هى ذات الأهمية العظمى فى الزراعة . وهذه الجراثيم إما أن تعيش فى الأرض أو فى جذور بعض النباتات العالية .

ففى الحالة الأولى يكون تأثيرها أقل بكثير منه فى الحالة الثانية . ومع ذلك فهى فى كلتا الحالتين تجمع الأزوت دائماً وتزيد خصوبة الأرض بأهم غذاء نباتى مفيد . ويظهر أن النباتات البقولية كالفول والبرسيم والترمس والعدس والفول السودانى والحلبة هى الوحيدة التى توافق جذورها لدخول هذه الجراثيم وتأثيرها فيها . فبعد دخولها فى جذور النبات المناسب لها يزداد عددها فينتفخ المنسوج الذى يؤويها ويكوّن عقداً .

فلو نظرت الى جذور نبات البرسيم خصوصاً بعد الحشة الرابعة أو الخامسة فانك ترى العقد الصغيرة المتكونة على جذوره . والجراثيم التي تعيش فى خلايا النبات تأخذ الأزوت الغازى الذى يدخل فى جذوره فيتحد بسببها مع أجسام أخرى لتتكون منها مركبات تمتصها البقول وتكون بها

ومن جهة اخرى فان الجراثيم تأخذ غذاءها المعدنى وغيره من عصارة النبات الذى يعيش عليه من حيث أن فى الجراثيم التي تعيش على النبات البقولية قوة تثبيت الأزوت من الهواء الجوى ، فالنبات المذكور يصير فى غنى عن أزوتات الأرض

فمثل هذه النباتات يمكنها أن تنموا فى أرض رملية خالية من المادة العضوية بخلاف الشعير ونحوه فانه لاينمو فيها لعدم وجود الغذاء الازوتى والزارع وان جهل تأثير هذه الجراثيم الصغيرة الا أنه يعرف نتيجة تأثير زراعة البرسيم والفول والعدس والفول السودانى فى إخصاب الأرض ، وينتج مما تقدم أن زراعة محصول بقولى فى كل دورة زراعية له فائدة عظمى :

— وتنقسم الجراثيم الموجودة فى الأرض الى ثلاث فصائل :

الاولى التى لاتأثير لها فى خصوبة الارض.

والثانية هى التى لها تأثير جيد

والثالثة هى التى لها تأثير ردىء :

فالاولى — تشمل أنواعا كثيرة من جراثيم الامراض

والثانية تشمل جراثيم التعفن والتأزت وتثبيت الازوت المنفرد وهى التى يلزم تقويتها بواسطة خدمة الارض .

والثالثة تشمل الجراثيم الطفيلية والمخمرة والمختزلة وضررها فى الارض إما قليل وإما كثير، ويمكن انماء الجراثيم المفيدة بتحسين خدمة الارض وتهويتها وتصريفها وباضافة أسمدة عضوية اليها والاراضى الغدقة (النازة) لاتلائم الجراثيم المفيدة

ويصل تأثير الجراثيم الى نهايته العظمى متى وصلت حرارة الوسط الذى تعيش فيه ٣٨ درجة مئينيه تقريبا. ويقل هذا التأثير متى زادت درجة الحرارة أو انخفضت عن ذلك .

وتؤثر الجراثيم المفيدة فى تحضير غذاء النبات مباشرة أو بواسطة

فجراثيم التعفن والتأزت وتثبيت الازوت تؤثر مباشرة فى المادة البكر ، وتهيئها لاستعمال النبات — والارض التى يكون بها كثير من الدبال وهى خالية من الجراثيم السالفة الذكر تكون غير خصبة بالمرة . فالارض الملحة مثلا والارض الغدقة والارض الحمضية ربما تحتوى على كثير من الغذاء البكر ، ولكنها لا تصلح لانتاج المحصول ما لم تكن بها هذه الجراثيم .

كذلك لا فائدة فى اضافة سلفات النوشادر للارض الا أن توجد جراثيم التأزت فيها لتؤثر فيه وتحوله الى غذاء نباتى صالح . واذا لم توجد جراثيم تثبت الازوت فان مقدار الغذاء الازوتى يقل شيئاً فشيئاً فيستنفد خصوبة الارض تدريجيا

وتأثير الجراثيم التى تكون الغذاء النباتى مستمر ولذا يتراكم الصالح منه فى الارض العارية لكنه يكون معرضا للزوال منها اذا أرويت ريا غزيراً وهذه الجراثيم تساعد فى نمو المحصولات بواسطة انتاج حرارة وحوامض .

فالحوامض الناتجة بعد تحليل المواد العضوية تذوب فى ماء الأرض وتكسبه قوة بها يؤثر ويحضر الغذاء المعدنى للنبات

وفى الحقيقة أن ماء الأرض قليل التأثير فى التفتت اذا لم يكن حمضيا ضعيفا وبذلك لا ينال النبات فى الأرض الا غذاء قليلا ، ويتغير تأثير هذه الجراثيم بتغير الدبال .

والاسمدة العضوية قليلة القيمة ، والجزيئات المعدنية للأرض تكاد تكون بلا فائدة وتتغير ببطء زائد لدرجة لا يمكن بها نمو شىء سوى محصول ضئيل جداً .

ومن الضرورى الالتفات لمركز النبات فى الأرض قبل الانتهاء من هذا الموضوع فالصلة بين النبات وبين الأرض يمكن معرفتها ولو بطريقة نظرية سطحية .

ففى الأرض المصفاة جيدا يكون فى مسام الجزيئات ماء أى فى خلاء المسافات الدقيقة التى بينها على هيئة طبقة رقيقة تحيط بكل جزء منها وتكون المسافات الكبيرة للأرض مشغولة بالهواء .

أما اذا كانت هذه المسافات الكبيرة مملوءة بالماء فان الأرض يقال لها متشبعة أو غدقة . والجذور الغليظة للنبات تثبته تثبيتا جيدا فى الأرض ولكن وظيفتها فى امتصاص الغذاء تكاد تكون معدومة .

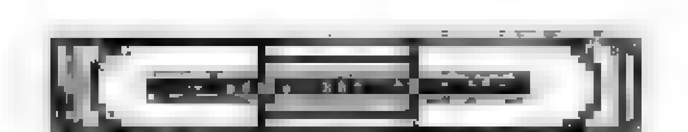
أما الامتصاص فيحصل بزغب العروق التي تتفرع من الجذور الكبيرة في جميع الاتجاهات لاجتلاب الغذاء وهذا الزغب الذي لا يوجد الا في الاجزاء الحديثة من العروق يكون انابيب دقيقة جدا يبتدىء نموها من الخلايا السطحية وفيها توجد الطبقة الحية (البروتوبلاسمية) والعصارة الخلوية التي تمد خلايا الجذور

وهذا الزغب مغطى بطبقة غروية يركد فيها كثير من الجزيئات الأرضية وتلاصق ماءها تلاصقا تاما

و بواسطة هذه الجزيئات تتصل بما جاورها من الجزيئات الأخرى وحينئذ فيوجد في زغب الجذور ذوبان هما العصارة الخلوية والماء الارضي منفصولان عن بعضهما بغشاء مكون من جدر الخلايا والطبقة الحية .

وهذا الغشاء رقيق جدا ينفذ الماء وبعض المواد الذائبة بسهولة فالماء والمواد المعدنية للنبات تدخل بواسطة زغب الجذور .

عبد المجيد سيد أحمد



الحسون

حادثة واقعية

فطر المرء نزوعاً إلى الشر ، ميالا الى الانانية ، جاحداً للعرف ، لا يطوى جوانحه الا على نكران الجميل ، وغمط كل يد تسدى اليه ، مهما جنى من ورائها من المنافع والمزايا .

بخلاف الحيوان الأعجم الذى مع تجرده من نباهة العقل ، واستنارة البصيرة يقدر ماتقدم اليه من الصنيع، فيحفظ المعروف ، ويعترف بالجميل ، ويسعى جهده ليبدى ماتكنه غريزته من الأمانة والوفاء نحو المسدى ، سواء بتعلقه به، او بالتقرب منه ، والتودداليه .

جلس الاب غنطوس على عتبة غرفته بعد خروج الحضر يفكر فى حاله ، والدمع يجول فى عينيه ، فاقبلت عليه جارته مريم ولم تكن تقل عنه بؤساً وشقاء ، ولما ابصرت ورقة الحجز بين أصابعه المرتجفة غلب عليها الحزن فطفقت تكفكف دمعها وتواسيه وتخفف عنه .

وكان شديد الانفعال لمن يشاطره الشجن ، وتودعته ، وتقوى عزيمته ، فنال التأسى من قلبه وسرى عنه بعض الشيء ، فرفع رأسه بحزن وقال بصوت يتهدج من الاسى :

سيبيعون عما قريب كل محتويات غرفتى ، ويطردونى منها فاصبح بلا مأوى فى هذا البرد القارص ، برد لبنان الذى يبرى الاطراف ويثلج الأجسام

فدمعت عينا مريم وقالت

كل أصحاب الاملاك على شاكلة واحدة فهم قساة القلوب غلاظ الأكباد متحجرو الافئدة لايعرفون شفقة ولا رحمة .

وكان الأب غنطوس سليم الطوية ذا نفس وديعة مستسلمة لا تستفزها نزعات ثورية ضد النظم الاجتماعية فقد ألف المصائب والمكاره منذ الصغر حتى أيقن بان حظه من هذه الحياة التعاسة والشقاء ، وحظ الغير السعادة والهناء فنظر اليها بكآبة وقال :

لاتتحاملى على أصحاب الأملاك أيتها الجارة العزيزة ، فهم انما يطالبون بحقهم فقد مضى زمن لم انقد صاحب الغرفة فيه شيئا من إيجارها ، لان المرض أقعدنى عن العمل مدة طويلة ، ولما تماسكت صحتى وجاوزت طور الضعف سعيت لاحصل

على عمل فسدت فى وجهى سبل الرزق ، لانى عجوز لاعزم لى ولاقوة ولا جلد على احتمال أرزاء الاعمال ومشاقها لا سيما وإنى كما ترين ذو عاهة لاتساعدنى على ذلك ولاتروق فى أعين الغير وهى هذه الرجل الخشبية .

فقالت له تلك الجارة الشفيقة :

لم لاتذهب الى الامير شهاب الذى أنقذت ابنه من الموت دهسا تحت عجلات القطار وأصبت من جرائه بفقد رجلك فتطلعه على حالتك وتستمد معونته ولتستطالب منه مشاطرته فى ماله الجم بل انك تقنع بفضلات ماعنده مكافأة لك على حفظك حياة ولده الوحيد ؟

فهز المسكين رأسه يأسا وقنوطا وأجاب ؟

قوتل الانسان ما أنكره للجميل ، وأجحده للمعروف فسرعان ماتسى الامير دينه وسرعان ماينقلب المحسن اليه على المحسن ويقابله بما يكره ، كأنه له عدو يبغى قتاله ولا تستحب مصافاته. فلما عدت على المرض ، وركبنى الدين ، ذهبت اليه لابسط له حالى وأطلعه على عوزى ولم أكن قد قابلته قبل ذلك غير مرة واحدة عندما أنقذت ابنه فتلقانى بازورار ، وخاطبنى بكبر وخيلاء ، وعندما اطلع على مطلبى صرفنى بفظاظة مهددا إياى بالطرد اذا تخطيت ثانية عتبة قصره .

وعندما يدعوا الى الاسى أن ابنه الذى أنقذته من أشنع ميتة ، قابلنى بهزء وسخرية ، وشيعنى بكل ضروب التهكم لعرجى وفقرى ورثاثة ثيابى ، وأخذ يهمس فى أذن خطيبته ويضحكان سوياً .

ـــ وكم أعطاك عندما أنقذت ابنه ؟

ـــ عشرة جنيهات لقاء الانقاذ وفقد رجلى !

ـــ وارحمتاه لك أيها الصديق ! فقد دفعت ثمن مروءتك غاليا . فأجاب وقد لمعت عيناه ببريق المروءة والشهامة :

لقد قمت بما يجب على كل ذى شرف فعله عندما يرى أخاه فى الانسانية مشرفا على الهلاك .

ـــ ولكنهما لم يقوما ببعض ماتحتمه عليهما عرفان الجميل والشكر على المعروف .

ـــ إنهما غنيان بالمال ، فقيران بالعواطف الشريفة .

ـــ وماذا ستفعل الآن ؟

— لا شيء سوى أن آخذ حسوني ، وهو سلوتي الوحيدة كما تعرفين ، وأضرب في هضاب الأرض وشعابها ، هاربا من جور الانسان وظلمه .

— ليكن الله في عونك أيها الاخ .

ثم ودعته وانصرفت ، فنهض من مكانه متثاقلا ، وسار وهو يدلف على رجله الخشبية حتى دخل غرفته التي لم تكن تحوى غير أثاث عتيق واطمار بالية وقفص فيه حسون جميل المنظر بألوانه المتعددة ، رائق العينين ، فاقترب منه وفتح له الباب وأخرجه ووضعه في كفه وأخذ يمر يده بتؤدة ورفق على ريشه الاملس الناعم ، ثم أخرج له من جيبه فتات خبز وقربها منه ، فشرع يلتقطها بمنقاره محدثا زقزقة خفيفة ، ولما شبع مسح منقاره من ناحيتيه باصبع الاب غنطوس ، ووقف يغرد وصاحبه يستمع له وقلبه يرقص طربا

ولما فرغ من تغريده تأمله الاب غنطوس مليا باعجاب شديد ، ثم أدناه من وجهه وخاطبه قائلا :

حسوني العزيز ! لم يبق لي مما في هذه الغرفة غيرك ، فأنت سلوتي الوحيدة وسميري في وحدتي ومؤنسي في وحشتي فهيا آخذك معي وأسير بعيدا عن مظالم البشر الذين لا يرعون عهدا ولا يحفظون ميثاقا ، فنأوي الى الغابات والاحراش فنتفيأ ظلال الاشجار الوارفة ونأكل من ثمارها ونرتوي من مياه الينابيع العذبة .. قل يا حسوني : أتريد الذهاب معي ؟

فكان الحسون يقفز على أصابعه مزقزقا :

كوي .. كوي

فاستتلى الاب غنطوس كلامه قائلا :

أراك راضيا بعشرتي تأبى مفارقتي بعدما تآلفنا طويلا لان قلبك الرقيق يحمل بين دفتيه أرق العواطف للاب غنطوس البائس الذي لا يشعر بالوحدة اذا كنت معه

ثم قبله قبلات أشبه بهمس النسيم لخفتها ورقتها وارجعه الى قفصه وعيناه تدمعان حنوا

ولا غرو فقد كان يحمل بين جوانحه لهذا الطائر الصغير كل مشاعر الحب والشفقة لانه الكائن الوحيد الذي لم يتناول الاب غنطوس بأذى بل هو الوحيد الذي قاسمه بؤسه وشقاءه فكان تغريده وميض رجاء ينير دياجير حياته الشديدة الحلوكة .

***

مرت الايام سراعا ، وحان يوم بيع أثاث الاب غنطوس فاقبل الرجال المكلفون بذلك وتلاهم جمع من المتفرجين والمشترين ، ولو انه لا يوجد ما يثير اهتمامهم ولكن التطفل والتلذذ برؤية أذى الغير غريزتان في الانسان لا يثنيه الا الاقلاع عنهما . هذان

هما الدافعان لهؤلاء النفر الى الحضور لمشاهدة الخراب الحيق بأخيهما في الانسانية دون أن تأخذهم عليه شفقة أو تهزهم عاطفة حنان .

انزوى الاب غنطوس في احد أركان الغرفة ، يتطلع الى الوافدين بنظرات تائهة لاتستقر على شيء ، والحسرة تقطع احشاءه حتى اذا قام البيع على قدم وساق ، نهض منفطر القلب يريد الخروج اذ لم يعد له بقاء هنالك ، وتطلع بحرقة الى حوائجه وهي تتنقل من يد الى أخرى ثم حمل بيمينه قفص عصفوره العزيز عليه ، وسار يدلف مستندا على عكازه حتى اذا أوشك أن يخرج رآه أحدهم فصاح : الى أين أنت ذاهب ؟

فاندهل الاب غنطوس من هذا السؤال والتفت الى السائل وقال له :

ماذا تريد مني ؟

فاجابه بتهكم :

لاأريد منك شيئاً . فاترك القفص الذي بيدك واغرب عن وجهنا

وكان الاب غنطوس يعرف بأن بني الانسان جبلوا على كل ظلم وعسف ، ولكنه لم يكن يدري في خلده أنه سيبلغ بهم الجور حداً يفرقون به بينه وبين عصفوره المحبوب ولذا وقع هذا الامر عليه وقعا شديداً كاد يفقده رشده فوقف برهة جامداً لايستطيع حراكاً ثم خذلته قواه فانسل القفص من يده وهوى الى الارض .

لكنه مالبث أن ثاب الى صوابه فطلب منهم أن يسمحوا له بتوديع عصفوره بالوداع الاخير ، ثم أخرجه وأخذ يقبله قبلات حارة والدموع تنهمر من عينيه .

ولما فكر كيف انهم سيحرمونه من سلوته الوحيدة في حياته ، غلا صدره ، وثار ثائره وهم بمناجزتهم العداء دفاعا عن عصفوره لكنه تمالك نفسه لاستيثاقه من ضعفه أزاء قوتهم الغاشمة ، غير انه أحب قبل مبارحته غرفته أن ينقذ عصفوره من رق الاستعباد لئلا يسام الذل عند من تصل اليه أيديهم فقبله قبلة طويلة أودع فيها كل مايكنه صدره من حب وحنان وقذف به في الفضاء صائحا :

اذهب أيها الحبيب يا آخر رجاء لي في دنياي هذه . اذهب وتمتع بنعمة الحرية فقد طال حبسك واشتد جور الانسان عليك .

وظل واقفا يتبعه بنظره وهو يتقلب في الفضاء حتى غاب عن أبصاره فسالت دموعه

على خديه الغائرين وتغلغلت في لحيته البيضاء فمسحها بيده وتحامل على نفسه وسار متوكئاً على عكازه الى حيث لا يدري .

وكان البرد قارصاً والثلج قد كسى أديم الارض بحلة بيضاء وجبال لبنان أشبه بعروس بثيابها الناصعة . فداوم الاب غنطوس سيره دون أن يقصد جهة معينة والحزن يكاد يصرعه لان عبء الشقاء انضم الى عبء الوحدة فأناخا بكلكليهما على جسمه الناحل الهزيل .

سار على غير هدى ، والبرد يبرأ أطرافه ويتسلل الى جسده من خلال أطماره البالية وهو ينتفض من شدة وقعه ، ويسخط على نفسه وعلى بني البشر لظلمهم وجورهم ثم رفع رأسه وتطلع الى الجهة التي غاب منها حسونه وتمتم :

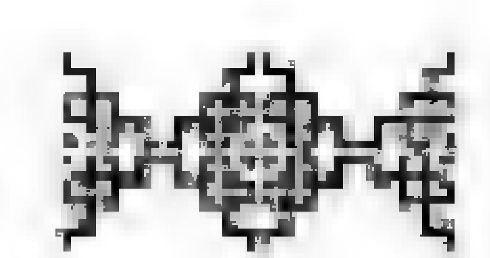
لقد ذهب الى حيث لا أدري ، وتركني وحيداً شريداً فهل الحيوان سيكون أشد حفظاً للجميل من الانسان ؟

ولم يكد يتم كلمته حتى طرق اذنيه حفيف أجنحة أشبه بمر النسيم ، وشعر بجسم خفيف قد استقر على كتفه ، وطرق اذنيه همس لطيف يردد كلمة « كوي . كوي » كأنه يقول له ها أنذا !

فالتفت الاب جالك فابصر حسونه قد عاد اليه فكاد يطير من شدة الفرح فقبض عليه بكلتا يديه برفق زائد وجلس على صخرة هنالك وطفق يقبله ويضمه الى صدره وقد نسي وقتئذ شقاءه وتعاسته فنسي انه طريد شريد ، لا مأوى له يدفع عنه قرة البرد نسي أنه جائع ليس لديه لقمة يسكت بها صوت معدته الصارخ ، وصاح وهو يبكي تأثراً

لقد عادت الى سلوتي الوحيدة ، لقد عاد الى مؤنسي في وحدتي . . . فالحيوان أشد حفظاً للمعروف من الانسان .

جورجي نيقولاوس



تاريخ التمثيل

(٢)

أصل الفاجعة

لقد كانت الفاجعة في البلاد اليونانية ضرباً من التعبد المشتق من الطقوس الدينية التي كانت تقام للإله ديونيزوس .

ولبثت على هذه الحالة طيلة العصر الهومري . ولم يكن الشعب يرى فيها غير الشعائر المقدسة لاحد آلهته . ولذا لم تكن تمثل بتواتر . وفي أي وقت كان ، كما هي الحال عندنا الآن . بل كانت تقام في أثينا في الأعياد الديونيزية الثلاثة وأكبر هذه الأعياد العيد الذي يقع في الربيع . فتمثل فيه الفواجع بحضرة مندوبي حلفاء الشعب اليوناني الآتين لتقديم جزيتهم وبيع سلعهم

وقال ارسطو إن الفاجعة تولدت من الغناء الذي كانوا يقدمونه تكريماً لباخوس إله الخمر فقد كان المغني ينشد قصيدة شعرية ذات روي سهل وفرقة لابسي جلد الوعول تجيبه بمقطع محفوظة يتخللها عويل الحزن وزفرات الشجن .

ولم ينقل لنا التاريخ ماهية هذه الأناشيد غير أن هيرودوتس يؤكد أن الغناء المفجع (١) الشائع وقتئذ لا يختص بديونيزوس وحده بل يتعلق أيضاً بالخرافات المحلية . وهذا الغناء لم يكن يفرق البتة عن الفاجعة الأثينية وهي في بدء عهدها .

وأول من وضع الأغنية المفجعة ايجين (Epigine) السيوني في استهلال القرن الخامس قبل المسيح .

وكان المتعبدون في حالة الهذيان النفسي الذي يعتريهم يتحدون روحاً بالإلهم نفسه أو بصحبه المختارين . فاذا استأثرت نشوة الفرح بألبابهم ، أو تملك مشاعرهم ذهول التعبد ، تنكروا بمختلف الأزياء فاتخذوا أشكال الأشخاص الذين يسردون وقائعهم ،

---

(١) Tragique

فألفوا فرقة من الرجال ألبسوها جلود العنز وأطلقوا عليها اسم الوعول (Boucs) ليمثلوا الساتير (Satyres) صحب باخوس المعربدين .

فكانت هذه الفرقة الأساس الذى أقيم عليه صرح الفاجعة

وضع الفاجعة الاساسية

لقد أجمع المؤرخون على أن تسبيس المولود حوالى سنة ٥٧٠ قبل المسيح بالقرب من البرزخ هو واضع أساس الفاجعة .

ويغلب على الظن أنه تأثر بطارق الاساقفة السيسيو نيين (Sicyoniens) الآنف ذكرهم . فنحا نحوهم فى تأليف الغناء المسمى (Dithyrambe) أى غناء الاشراف الذى كان يقوم به أناس من علية القوم وكرائم عشائرهم اجلالا لديونيزوس اله الخمر .

لكنه ما عتم أن أحدث فى أصله التقليدى تغييراً محسوساً بأن أضاف الى جوقة المغنين والراقصين ممثلا متصلا بها لكنه خارج عن هيئتها فكان يوازرها بتمثيل الحوادث ولا يتقدم اليها فى الانشاد بل يجيب على أسئلتها بسرد حوادث .

وترتب على دخول هذا العامل الجديد اتساع فى دائرة النشيد الضيقة فظلت تتدرج بما يضاف اليها من العوامل الفاجعة حتى وصلت الى ما هى عليه الآن .

ولم يصل الينا من القطع التمثيلية (١) التى نسج بردها هذا المؤلف الأسماء لا يستخلص منها شيء . فقد قيل إنه وضع روايات عديدة منها رواية (ألعاب بلياس الجنائزية) ورواية (الكهنة والفتيان) ورواية (بانتيه) .

ولم تكن مواضيع هذه الروايات مقتصرة على التغنى بفضائل اله الخمر بل تعداه إلى أساطير البطولة والشجاعة بأجمعها .

ولا يسعنا مجاراة البعض فيما يدعونه من أنه استخلص دفعة واحدة من روايات فرقة لابسى جلد الوعول (Satyres) لأن طريقته المبتكرة سميت بالفاجعة (Tragedie) ومعناها باليونانية : نشيد الرجال المتمنطقين بجلود العنز .

ولو راعينا ما كان يحدثه هذا التسرق مشاعر الجمهور لبدا لنا أنه من الصعب تبذه

---

(١) Pieces de théatre

بالكلية دون أن ينتج ازورارا عن هذه القطع التمثيلية، ولكن مما لا ريب فيه أن تسبيس جهد نفسه ليرجح في درامه عامل التأثير. ولا يستبعد بعد ما تكللت مساعيه بالنجاح أن يقدم لحضاره فواجع خلوا من لابسي جلد الوعول. لأن فرقة العازفين والراقصين البادية في الفواجع المدرسية (Tragedies Classiques) كانت كثيرة الشيوع في العقد الأخير من القرن السادس.

ولما تجردت الدرام المفجعة (Drame tragique) تماماً من لابسي جلد الوعول اقتصرت على ممثل واحد ينهض بأعباء جميع أشخاص الرواية، فيقوم بتمثيل دور البطل والعاشق والجاسوس والخادم وغير ذلك.

وكان تسبيس يمثل رواياته في أعياد ديونيزوس الفاخرة، ولاسيما في الأعياد التي تقع في فصل الخريف. فكان يتنقل في عربته من مكان إلى آخر ويخط رحاله في الموضع الذي يريد التمثيل فيه ويشرع في تأليف فرقة العازفين والراقصين ويدربها تدريباً بسيطاً ثم يقوم بالتمثيل على قارعة الطريق متخذاً من عربته مسرحاً بعد ما يزوقها ويزينها بكل ما تصل اليه يده. ويزعم بعضهم أنه كان يستعمل كربونات الرصاص والبقلة الحمقاء (Pourpier) — أي الرجلة — أو يضع وجهاً مستعاراً.

ونرى هنا بديهياً لا يحتاج إلى أدلة لأن مثل هذا المؤلف والممثل في آن واحد خليق بأن يدخل في مهنته كل التحسين الذي تبتكره قريحته الفياضة. لاسيما أنه كان من المستلزم أن يغير زيه وزي فرقته طبقاً للأدوار التي يمثلونها. ولكن يرجح لنا أنه قنع من ذلك بما فوق اللون. لأن ابتكار الملابس التمثيلية بالمعنى المفهوم منها تنسب إلى ايشيل.

خلفاء تسبيس

لم تكد طريقة تسبيس تعلن حتى أقرها الجميع وحذا حذوه شعراء عديدون فتبادروا وتنافسوا في العقد الثاني من القرن السادس. لكن التاريخ لم ينقل الينا أسماءهم ولا نتاج قرائحهم لعدم اعتداده بها. واقتصر على تبيان من رآهم جديرين بالذكر فحفظ لنا اسم كوريلاس وفرينيكاس.

ولقد تضاربت الآراء في شأن أولهما حتى لم يتسن لنا استخلاص حقيقة واحدة منها. فقد اختلف المؤرخون في تعيين القرن الذي عاش فيه، فبعضهم أوجده في الخامس وبعضهم في السادس وإنا نحن فنرجح الرأي الأخير.

ونسب غيرهم اليه تحسيناً فى ملابس الممثلين . وتفنناً فى الاوجه المستعارة التى كانوا يتنكرون بها. و بالغ آخرون فى تعداد مناقبه . وعدوه من نوابغ المؤلفين الذين قلما يأتى الزمان بمثلهم وغير ذلك من الآراء المتباينة التي لا فائدة من ذكرها .

ولم يكن فرينيكس اسعد حظا من تسه . فقد جار عليه التاريخ ولم يبين لنا من أمره شيئا كثيراً . فقد ذكر سويداس انه ادخل النساء فى زمرة الممثلين . لان ذلك كان ممنوعا عند اليونانيين ـ غير أنه لم يتحقق . لكنه فاز باكتساب الفواجع بهاء ورواء . وتسنى له تنويع العواطف التى تتخللها وتمكن من التلاعب بألباب المشاهدين واستهواء افئدتهم .

ولم تقف به همته عند هذا الحد بل سمت به الى اصلاح كل ماله مساس بالتمثيل . فادخل تحسينات جمة على زينة المسرح وتفنن فى تزويق الملابس والاوجه المستعارة. وحدت به عزيمته الى طرق المواضيع العصرية فمثل حوالى سنة ٤٩٥ رواية (فتح ميليه) La Prise de Milt التى ابكت الشعب الاثينى كما يدعى بعضهم . لكنها فى الوقت نفسه جلبت على المؤلف سخطه وغضبه .

ووضع نحو سنة ٤٧٦ رواية (الفينيقيات) التى أتى فيها باندحار اكزرسيس فى موقعة سلامين .

ولم يبق الزمن من نفثات اقلامه غير اسماء رواياته البالغة اثنى عشر عددا . وقد صاغ ارستوفان لآلىء المدح لشعره الغنائى (Chants lyrique) الذى كان كثير الشيوع فى زمنه . تداولته الالسنة ورددته الافواه .

ولا غرو اذا انتشر شعره . فانما قوام رواياته النشيد دون غيره . والعامل الغنائى فى قطعه التمثيلية هو الراجح على غيره من العوامل . بينما العامل الدرامى فى الفواجع لا اثر له فيها

يتبع   جورجى نيقولاوس

شيطان بنتاؤور

الحادثة الثامنة

حدثنا الهدهد المسحور، الدخيل فى الطيور، كحال ذلك الناطق فى السور، السابق فى المنظوم والمنثور، وماهو الابنتاؤور، شاعر القدم المشهور، الخالد ذكره مع الدهور. أنشر شيطانه، وبعث بيانه، أم أرجع الناس زمانه.

قال لما كان الغد وأزف الأصيل خرجت الى منف المنبعثة بقوة الخيال المتمثلة كما كانت فى العصر الخالى اذ المالك رعمسيس المعظم ذو الجلال واذ الملك فى ذروة السعد وأوج الكمال، فبلغتها وأنا حيران لاأدرى على أى أبواب القصر ألقى النسر، لأنها متفرقة كثر

وقد تقدم القول بان الدار الفرعونية تكاد تكون تلك المدينة من التناهى فى السعة وكثرة المشتملات وتعدد الاطراف لكل زوجة فيها جنبة مخصوصة وافنية بها مخصوصة وما أكثر الزوجات ولكل ولد غرف منفصلة ومقاصير منعزلة والملك كثير البنين والبنات ولاتسل عن الحاشية وكثرتهم ومايلزم لهم من مساكن تختلف باختلاف منازلهم فى القصر وتتفاوت بتفاوت مواقعهم فى الخدمة وفى الدار منهم آلاف يؤدون الخدم المتنوعة ويمارسون الصناعات المختلفة وبالجملة فالقصر السلطانى من امتداد البنيان وسعة الجوانب والاركان بحيث لاتحصى أبوابه ولا يغنى أحدها عن سائرها

فحين انتهيت اليه ولجته من الباب الذى دخلته بالأمس وحينئذ ذكرت ان الساعة ساعة الدرس وأنى ربما لقيت الاستاذ فى مقر الامير أوفى فاحتلت حتى دخلت على الامير فى غرفة جلوسه فلا والله ماعللت النفس بكذاب ولا اوردتها السراب بل اذا أنا بالامير وجمع من إخوته وكبار الاتباع قد داروا كالحلقة بالنسر وهو فى بهرتها يتلطف لهم فى التعليم ويخلط المفاكهة والتدريس فوثبت الى رفرف هناك فحططت فوقه وأنا مسرور بما وجدت قرير بماشهدت ثم ألقيت السمع فسمعت الاستاذ يقول :-

والذى يعز علماء هذه الامة على غيرهم ويجرى بهم الى الغايات ويكفل لهم السبق ويجعلهم اساتذة وقتهم ومصابيح عصرهم أنهم يطلبون العلم لذاته ثم لانفسهم ثم للاحاديث

من بعدهم وهذه الثلاثة ماقامت بنفس طالب علم ورزق الحظ والذكاء وفسحة الاجل الانبغ فى حياته ثم جاوز ذلك الى رتبة الخلود بالذكر بعد مماته فيا أيها الامراء ومن بلوذ بهم من الخواص والكبراء من احب منكم العلم حبا صادقا وطلبه لذاته فليأخذه منى ومن حضر منكم مجلسى هذا وهو فارغ الفؤاد من حب العلم عين ساهية واذن لاهية وجسم فى ناحية وقلب فى ناحية فليأخذ العلم من غيرى

قال الهدهد فرأيت وما اعجب مارأيت رأيت اكثر الحضور انسلوا من المجلس فدهشت لهذا الصدق واستغربت من القوم هذا الرجوع فى الضمير الى الحق وذكرت مجالس من هذا القبيل يعقدها بعض الكبراء فى مصر تظاهراً بمحبة العلم ويتصدر فيها للتدريس عادة الشيوخ من العلماء ويحضرها البعض رياء وتملقا ثم استمر السمر فقال :

حب العلم بطلبه لذاته وهذا أول التوفيق فى طريق التحصيل وسبب النجاح الاوثق لأن النفس حيث رضاها وحيث يجعلها هواها ومن رضيت نفسه بالعلم قسما من أول يوم وامتلأ فؤاده من حبه أقبل عليه وضن به وانقطع له والفى التعب راحة فى تحصيله واستوى عنده الملامة والمعطب فى سبيله ثم لايلبث العلم ان يعرفه قدر نفسه وأنه ماخلق فى هذا التقويم سدى ولاجاء نوعه على هذا الوجود عبثا فتأخذه من ذلك عزة بالحق وتنزل نفسه فى عينه منزلته الحقيقية فيطلب العلم لها ويستكثر منه لأجلها ويجرى فيه الى الغايات فى سبيلها لما استقر عنده من أن العلم يحيى النفوس ويهذبها ويطلعها على الحياة وأسرارها ويوصلها الى كنه أغوارها ويسهل له صعابها ويهون عليها الفواجع فى دنياها وهذه هى المنزلة الثانية فى العلم يقف عندها سواد العلماء ولايجاوزها الا احاد يسخرهم الآلهة بهذا الوجود فيعملون فيه العمل العظيم ثم يموتون عن تراث فى الفضل جسيم ، من بيان يخلدون ، أو حكمة يورثون ، أو مجد يشيدون أو فن يجيدون وهذه هى رتبة الامتياز بالاختراع ولايقال عن أمة انها بحياة ولها وجدان حتى يبلغ أفراد من بنيها هذه الرتبة ولئن كان العلماء فى الارض عدد ماعرف من النجوم فى السماء فهذا الفريق منهم كالكواكب التى لم تعرف بعد يكتشف منها واحد على رأس كل مائة وأنهم لاجل منها وأنفع فى الوجود وأهدى للناس ومابلغ بهؤلاء العلماء الى هذه الرتبة العليا والمنزلة العظمى الا ترقيهم فى عرفان قيمة النفس ومغالاتهم بها واعتقادهم انها لاتفنى وأنها أجل ماهية وأعظم شأنا من أن تحصر بأيام

الحياة القلائل ولئن تحتم أن تخرج يوما ما من هذا الهيكل الزائل فلها من جميل الذكر ومحامد الأحاديث هيكل خالد فاخر يتجلى في الخواطر ولا تراه النواظر ولا يأوي به مكان دون مكان ويتوارثه الدهر زمانا عن زمان

قال الهدهد ثم التفت الاستاذ الى الامير وكان الدرس قد طال فأذن له في الامساك فأمسك وتحفز للقيام فطرت الى كتفه فنهضت فيه وأنا حيران على ما فاتني من أوائل درسه حتى اذا انصرفنا من حضرة الأمير التفت الى وقال كيف وجدت مجلسنا أيها الهدهد قلت استطبته يامولاى وان حضرت في آخره واستدللت بهذه الحبة من العنقود على سائره

قال لنا تلميذ في القصر نتعلم منه أحياناً ونزداد، كلما حدثنا علما وبيانا فهل لك في زيارته الساعة. قلت الأمر اليك يامولاى فسار النسر بي يخترق ردهات القصور ويجتاز شاهقات القصور وهو يعينها لى واحدا بعد واحد، ويسمى أهلها ويصف ما فيها حتى أفضينا الى قصر لايبلغ البصر ذروته ولا يدرك سمته فقال هذه سرايا الملك خاصة ونحن قادمون عليها

ثم وصل سيره بين رياض ناضرة وحدائق زاهرة وصروح رفيعة وأسوار رفيعة ومقاصير كالعيد الحسان تموج بالجواري والغلمان الى أن بلغنا احدى الغرف وكان على بابها غلامان يحرسانها فوقف الاستاذ ثم سأل أحدهما أين نحوت فأجابه في غرفة الكتابة يامولاى، قال اذهب فاستأذن لنا عليه فدخل الغلام يؤدى الرسالة والتفت النسر الى فقال رأيت جميع النواحي، فلم أر أثقل على الانسان من مضاجعه في ساعة الكتابة وقد استأذنه فلعل نحوت يأذن لنا وما كاد يستتم حتى خرج الينا فتى مليح الطلعة حسن الزى ترى دلائل الذكاء على جبينه الوضاء فانحنى بين يدي الاستاذ وقال زارنا خير من تعب وتكرم يامولاى ثم أخذ بيده فدخلا وهو ينظر الى ويقول للنسر أهذا هدهدك السحرى الذي شاع ذكره في المدينة يامولاى وليس يستكثر على من سحر البشر أن يسحر الهداهد

قال كيف أنت والملك يانحوت قال أفضل مولى هو، فرفع أنا كون أصدق عبد يعني كبعض ولده ويثق كبعض قدماء أصحابه ويؤدي بالأفكار الثاقبة والحكمة العالية والنصيحة الغالية قال هكذا عهدناه اذا صادق أعز واذا عاد أذل واذا أحب بلغ به

المعة واذا وثق لا يرجع عن الثقة . ثم جلس الصاحبان وطاف عليهما الغلام بشيء من عتيق النبيذ فسأل الاستاذ صديقه الفتى من أي القرون هذا المعتق يا آحوت قال ما يضن به الملك يا مولاى ولا يوجد الا في خزائنه وقد أمر صاحب شرابه أن يملأ دنا منه كلما فرغ وسبب ذلك أن جلالته نزل مرة الى أن ناولني منه شيئاً بيده المقدسة فدعوت له ثم قلت أيها الملك المعبود كانت حلب العنقود فصارت بسرك حلب الخلود من يذوق منها لا يخرج من الوجود فزلي بها تحلق في كأس لا تفنى ولا تخلو . أذوقها بلسان رطب عليك ثناء واشربها بفم عطوفك دعاء فسر الملك بهذه الكلمة في شكره وقال ما كان من أمره قال هكذا الملوك العظماء يختالون على الثناء ويأخذونه من عبادهم الامناء والآن أتأذن لنا يا آحوت ان نسألك ماذا تكتب قال وقربا مولاى يوما كتبت في عمرى حرفا ولا عرضته عليك ثم مشى الفتى الى منضدة الكتابة وكانت عليها رسالة من انشائه جف مدادها أو كاد فأخذها ثم دفعها الى الشيخ وهو يقول هذه رسالة مني الى أخي أحد جنود الملك في أسطول البحر الاحمر أشكر فيها من بطء مكاتبته لي وأبشره بمنزلتي الجديدة في الخدمة الشريفة وأصف له بعض أخلاق الملك قال الاستاذ ما قرأ الكلام مثل كاتبه فخذ فأسمعنا يا آحوت فتناول الفتى الرسالة ثم قرأ

« يا أخي ما شغلك عني وأنا المشغول بك أعنى بأمرك وأسأل عن خبرك وأذكرك في السر والعلانية . أفزع بالشكوى من هذا الجفاء ، الى شيمتك الوفاء . أم أعيذ بحورس حامي حمى الثغور ومسير تلك الاساطيل كالجبال في البحور أن يكون بين جنده من ينسى الصديق وينام عن عهده وقد عرفت نفوسهم بالوفاء كما وصفت بالنخوة والاباء . ولئن أخذت بقسط من العزة التي هي لجنود الملك بالحق فانها لكم جماعة الجند ولنا معشر الحاشية وما سوانا من الناس فأشباه إلا من حسب على رفيع ذلك الجاه . ولعله نمى اليك أني ازددت من حظوة واستقدمت في سبيل الفخار خطوة فجعلت على ملابس الملك أنشرها وأطويها وعلى جواهره أسهر على حفظ غاليها وقد أشفقت من الامر في أوله وحقه وأنا أعلم أنه جسيم وأني قادم على ملك تام المهابة عظيم . فلا والآلهة ونعمائهم وآباء الملك وسنائهم ما سمعت كحديثه ولا آنست كبشره ولا رأيت كخلقه ولا عرفت أقل

اعتزازاً بالدنيا منه ولا أكثر ذكراً بالآخرة اذا دخلت عليه بثياب الملك قال ما هذى الجوارى ياخوت واذا حملت اليه التاج قال البسنى ياخوت فلا تمس يدى شيئا يخرج منها غداً. وسألنى جلالته مرة ما أجمل الثياب ياخوت فقلت ما أجمل بالملك قال كذبت أجملها ما لبس الفقير بعد الغنى وثيابى لا تصلح لفقير بعدى فمر صناع لباسى أن لا ينقشوا رموز الملك على جيبه وأن يقصروا ذلك على ما أتخذ منه فى المحافل. وطلب خاتما له من نحو ألف خاتم فى الخزانة فتشابهت على فأبطأت ولم أجسر على مخاطبته فلم أدر إلا به عند رأسى وأنا فى البحث عن طلبه فتبسم ثم قال الخاتم لك ان وجدته ياخوت فأطرقت هنيهة ثم قلت فى البحار يامولاى ملكة اللؤلؤ التى لم يجد لها الملوك حتى الآن وهى لجلالة الملك ان وجدها. فاستضحك ثم قلب طرفه فى الخزانة حتى عرف الخاتم فقال هو ذا الخاتم فخذه فهو لك ياخوت فقبلت الارض بين يديه شكراً لانعمه ثم تحول عنى فسمعته يقول أنى أهون جنبنى الغضب وأمنى أحسن الادب واجعلنى من يثيب المسيء بعاقبة السبب. وحسدنى حاسد على منزلتى الجديدة فى خدمة الملك فوشى بى عند جلالته وقال عنى أنى أذيع كلماته وأنقل ما يدور بينا من الحديث

فقال له الملك انا أعلم بما أقول وليس فى كلامى ما يريبه فأكره أن يصل عبادى. ثم أمر بالواشى فطرد من خدمته وقال الملوك اثنان ملك أذنه للعقل وهذا سيد الاكارم وآخر أذنه للنمائم وهذا عبد اللائم. ورماك أحدهم عند جلالته بأنى كثير الحلف بحياته وهذا كما تعلم محرم على العامة مكروه صدوره عن الخاصة فقال رجل عيشه يعيش ولا يثق بصفو الحياة بعدى لها ألف عذر أن يحلف بآبائى ثم أردف بأن قال الواشى ونحن معشر الملوك احوج الى من تخلص لنا سرائره منا الى من يرضينا ظاهره نلقى إجلال الناس حيث ملنا ولا نثق بحبهم لنا

هذا قليل من كثير من كمالات الملك التى اختصه بها آباؤه ويودى تلتقى على خلوة تطول لاحدثك عن جلالته فتقول زدنى من حديثك وتعلم أنه ملك الملوك يقيناً ولو نظر اليه عاطلا من ابهة الملك وعظمة السلطان وأن جنوده ملوك الجنود فحسبنا شرفاً ما أنت فيه يا أخى من اعزاز لوائه والاعتزاز به ورعاية سقفه والاحتماء بها والحياة فى ظل ملكه والموت دون شرفه الرفيع

قال الهدهد وما كاد نعوت يفرغ من قراءة رسالته حتى تثاءب النسر والتفت الى مثقل الجفنين بالنعاس فقال اذا جاء الليل ذهبت الشياطين فالقني غداً في دار الاعمى « بسادور » فخرجت من صفو تلك الاحلام الى كدر اليقظة بين هذا الانام

* * *

الحادثة التاسعة

قال الهدهد فلما كان اليوم التالى قضيت النهار فى كد وكدح وتعب حياة ، وأشغال الدنيا طالبها حائم ، على ماء دائم ، وليته دائم . الى ان كان أوان الموعد فطرت الى منف وأنا لا أستطيع للغيظ كظما ، ولا أملك فى أمر النسر حكما . ولا أظن أنى سأهتدى الى ذلك الأعمى . فلما بلغت بناء (منا) الدائم ، وقدمت الى المدن القدائم ، نظرت اليها نظرة مرتاح . وقمت لديها على جناح ، وقلت فى نفسى صفحا للنسر من هفواته . اذ كان هذا المنظر من حسناته . وهكذا الانسان ينسى ويذكر ، ويكفر احيانا ويشكر . ثم فكرت فى الأعمى وداره ، وما يقتضيه النسر من مزاره . فسألت نفسى من يا ترى الرجل حتى يزوره النسر وأى العميان هو فهم كثر ، تراه شمشون فى الهيكل ابعث ، أم المعرى قام بين الجدث ، أم يعقوب ابيضت عيناه ، من الحزن على فتاه ، أم بشار بن برد قام من اللحد . أم أبو العباس الاعمى ، أم دريد ابن الصمة . أم الخليفة القادر فى أيام محنته ، أم حسان بن ثابت فى آخر مدته ، أم الشطبى . أم طوبيا النبى ، أم هومير الشاعر اليونانى . أم ملتون الشاعر الانجليزى ، أم مرصفى هذا الزمان صاحب الوسيلة والكلم الثمان ، وأول من علم الهدهد البيان ، أم داود الاكمه أم ابن سيدة أم الطليطلى أم أكمه المسيح أم أعمى عيس أم الاعمى الذى قتل البصير فى هذا الزمن الاخير ولم يبق أعمى فى الزمن الغابر الامر ذكره بالخاطر ثم قلت لعلها تعمية شاعر والرجل من عمى البصائر فتشابه البقر على عندئذ وقلت لعله أحد النفر الذين آمنوا بمحمد على واتقطعوا فى تلك الصفوف ، فلاقوا فى القلعة الحتوف . أو عساه زعيم الثورة المشئومة . أو معا كس أفكاره يومئذ فى الحكومة . أو هو دلنكل بينا تخيل ثم خال . من هد بنيان الاحتلال بامثاله أولئك الرجال او كر وجرفى بلدان الغرب لا فى ميدان الحرب يظن أن الاقوام متقذرة

من الكرب أو أحد سفراء الدول فى بكين منذ اتفقوا على الثقة بالصين أو من هؤلاء المتهوسين فى البلاد . الذين يطلبون حق السلطان مراد، وآونة يبايعون من شاؤا من العباد ويريدون من عبد الحميد وهو الذى لايجرى فى ملكه الامالرادان يصبح كهذا الذى قال عن نفسه وأجاد .

أليس من العجائب أن مثلى　　يرى ماقل ممتنعا عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا　　وما من ذاك شيء فى يديه

(قال الهدهد) ولو أردت أن أحصى عن البصائر على ذكر الأعمى بسادر لما استطعت أن أحصى نصف الناس على اختلاف الأصناف والاجناس . فبينا أنا مفكر حائر ماض فى الجو طائر . اذ طاف بى من الجوارح طائف . فلم أدر الا وأنا بين جناحى خاطف وهو ينظر الى مبتسما . يقول لقد أتعبنا الهدهد بالانتظار قلت وبذلك الاعمى فى تلك الدار . قال أما الاعمى فرمسيس رب هذا الملك وبانى هذه الدولة . عمى اذ بلغ به الكبر . فكانت هذه أبلغ العبر . وأما بسادر فمن الاسماء الدائرة وإنما رميت باستعارته إلى أن الدهر قد حكم فيه فصار كبعض الناس قلت يا أسفا على ذلك الوعد وياحسرتا على تلك الامنية لقد اخطأنى ماأملت من القدوم عليه وفاتنى ما رجوت من النظر اليه قال ستجده أبصر فى العمى وأسمع فى الصمم وتلقيه متلبساً بلباس الفتوة فى الهرم فتعلم انى استأذنت لك عليه وهو على عظمة من قوة الوجدان تعدل ماأبلغ اليه من عظمة الملك والسلطان

وصاحب لى أعمى فداؤه　　المبصرونا
يريك فى كل قول　　وكل فعل عيونا

(قال الهدهد) فقبلت حكم النسر ورضيت بهذا القسم النزر . وقلت قد آن لى يتجز مولاى وعده . انى اخاف الا أرى رمسيس بعده اذ مابعد العمى والصمم وتبالغ الهرم . الا عتوم العدم . فاستضحك الاستاذ ثم قال الآن تقدم عليه فاذا أقامك فى الخطاب فبالغ له فى التحية وشبهه بكل قوى فى الارض والسماء عظيم فى الغبراء والزرقاء واتبع فى مدحته سنتنا معشر الشعراء من المصريين القدماء وقل فى قاهر الامم الآريين كما قلت فى قاهر اليونانيين

أمولاى غنتك السيوف فاطربت ... فهل ليراعى أن يغنى فيطرب
فعندى كما عند الظبى لك نغمة ... ومختلف الانغام للانس أجلب

قال الملك وان أشرق وجه الارض من ثنائه وامتلأ فم الدنيا من مدحته، وسيرته ذكر والاشعار، ورثت أعماله القائلين وتكاثرت مناقبه على الناظمين فما زال يهزه المزاح وما انفك يطرب للاطراء ويرتاح. قلت ستجدنى يامولاى من المحسنين وعند تدحلى النسر الى القصر فدخلنا حجرة ليس أجمل منها فى الناظر، ولا أجمل منها فى الخاطر في وسطها سرير فاخر، وهو يزهو بالجواهر، منضودة من الخشب النادر اضطجع فيه رجل يقضى من مهابته ولا تثبت النفس إزاء جلالته، حفظ الزمن النضاضة على وجهه النقى من الشعر، وعلا التاج منه رأساً ملء التاج وهو كالتمثال له عينان ولا يبصر وكان النسر قد تمثل بشرا سويا، واستأذن فى الوصول فاستقدمه الملك فحين نقل القدم فى الحجرة العالية استقبل مولاه مستجمعا من الخشوع غاضا من بصره من المهابة ثم قال: سلام من عروس اليه، سلام الآباء والاجداد عليه، أيتها الشمس المضطجعة فى سرير مجدها وضوؤها يغشى البلاد، ويبعث حياة العباد، هذا هدهد ناطق، افرد فى الآخرين بتقديس ذاتك، والالمام بصفاتك، والتكلم بمدائحك على رفاتك، فاستحق أن يحسب على التفاتك

قال الملك لعله هدهدك السحرى يابنتؤر. قال كذلك لقبوه فى المدينة يامولاى. فالتفت رمسيس إلى كأنه يرانى وقال ماذا يقال عنا أيها الهدهد فى زمنكم النكد وأيامكم السوء وعهدكم النكر وسنيكم العجاف وماذا يعلم عنا ذلك الجيل الصغير والجمع المتفرق والعقد المتمزق والنسل الذى صغرنا بالبناء والحجر، ولم نسم به فى يوم مفتخر؟

(قال الهدهد) فعجبت من حرص الملك على ذكره من بعده وكيف أنه قدم هذا الامر على غيره فى ابتداء الحديث وعلمت أن حب تخليد الذكر هو رأس المطالب العالية لا يتأسس بناء فى المجد الا به ولا تقوم شهرة ثابتة راسخة الا عليه وحرت فلم ادر كيف اجيب أأصدق الملك فأقول له إن القوم ضيعوا عهدكم واغفلوا ذكركم وجادوا للاجانب بكثير مما تركتم واتخذوا منها الباشين واستخدموا منهم الكشافين واستقدموا منهم العلماء الباحثين، أم أكذبه فامدحه وأطريه وأعلى ذكره واغليه

وكان الاستاذ قد نظر الى نظرة مغضب كأنه ينهانى عن التردد فأنشدت

رمسيس يا كل الملو ك ويا جميع العالم
يفدى سليل الشمس كـ ل سليل من آدم

والتفت الى النسر فرأيته يتهلل فعلمت أن قولى أرضاه وان الالفاظ جرت على هواه . فاردفت بان قلت علمت الارض يامولاى انك خير من ملكها . واحرى من سلكها وأفضل من تركها وعلم الاحياء انك كنت كالفلك لاتسكن وكالمنية لاتدفع وكالصخرة لاتستخف وكالسماء لاتطاول وكالدهر لاتنام وكالنجم لا تعي وكالسيف لاتروى وكالدنيا لا تكره وكالحياة لاتمل وكالصبح لاتخفي وكالشمس لاتسترد وكالقضاء لاترد وكالبحر لاتزحم وكالذهب لاتراب وكالليث لاتهاب وكالطبيب لاتكتم وكالنار لاتدنس وكالعارض لاتعارض وكالريح لاتسابق وكالطود لاتصادم وكالماء لاتقوض وكالهواء لاتستبدل وكالحق لاتغلب وكالسعادة لاتعادل وكالسلامة لاتفاضل وكالبدر لاتواسم . وكالليل لايدرى ماتأتى

(قال الهدهد) وتفتست الملك وجلساءه النظر فوجدتهم منصتين لما ازخرف من الثناء ورأيت النسر يزداد تهللا فشجعنى ذلك على متابعة الخطاب فقلت وعلموا يامولاى من حسابك انك ملكت الدنيا . فى رؤيا قبل أن تولد وان تعي . ثم ما جاوزت العاشرة حتى كان الملك بيدك . والايام من جندك . والخير والشر من عندك . فكنت فى ذاك الصبا الغض والعمر النضير . وهذا الامر النافذ والملك الكبير . مثال الملوك المحتذين فى كرم الخلال وحسن الأخلاق يأخذ الكهول منك العلم . ويتعلم الشيوخ منك الحلم . وتغلب النفس على شيمتها الظلم . وتركب الحرب الى السلم . هنا أطرق الملك هنيهة ثم رفع رأسه وأشار بوجهه نحو أصحابه وقال أتذكرون اذ أزجى الجيوش وأنا طفل واذ مثلوق التاج فوق رأسى وأصبعى فى فى الوكها كما يفعل الصبيان . اتذكرون اذ لبست التاج فى الهيكل الطيبى . وأنا صبى . كالشبل اللبى . من رآنى قال لن يكبر هذا ولن يحمى ولن يملك أبدا . اتذكرون اذ نحن صغار . نصارع بالنهار . وحوش القفار واذ تجمعنا بالليل والعلماء السمار . نأخذ من علمهم وآدابهم ونتلقى عليهم الدروس النافعة ؟ أتذكرون اذ أسير فى الأرض فى

سبعمائة ألف مقاتل وآونة أركب البحر فى عدد أمواجه من سفن القتال فملكت المعمور من أفريقيا و أخضعت المسكون من آسيا و نشرت أعلامى على الامم و الشعوب و ملأت من آثارى الشعاب و الدروب فلا جبل ألا لى فيه أثر و لا بقعة الا لى عليها حجر . قال بنتاؤور نذكر ذلك كله ونعلم أنه لم ينل ملك ماتلت من صنوف السعادة ولاأوتى بشر ما أوتيت من بسطة الملك وامتداد السيارة . قال لكن وددنا لو خلقت ابن زراع أو احد الزراع فى بعض الضياع وأنى لم أعرف الملك و لم أنل من معاليه مانلت . ذلك من اجل حادثة وقعت فى حرب أمة الخيتاس اذا ذكرتها و أنا فى غاية السرور انقلب سرورى انقباضا وترحة واذا خطرت على البال وأنا فى ذروة المجد وأوج العظمة صغرت نفسى فى عينى واحتقرت فى خاطرى واستحييت من الشمس أن القاها بوجهى وهى الملك المسوى القسم بين الأحياء المنعم لهم بالحياة على السواء وحديث تلك الحادثة :

انى اخرجت العدو يوم ذاك بعد أن أتم الآلهة لى النصرة عليه فانساق بين يدى شيوخا و نساء وأطفالا وأنا اطاردهم وحدى فأبيدهم بمركبتى تارة و بسهامى أخرى حتى صادفوا فى طريقهم غابة فاستعصموا فولجتها عليهم وجعلت أصطادهم فى أعالى الاشجار كما تصطاد الطير فى الاوكار غير راث لحالهم ولا راحم ضعفهم وكان فوق شجرة هنالك رجل شيخ أعمى قد تسلقها وجد به حب الحياة فعاقها فرميته بسهم فأصابه فصرخ قائلا

« اعمى أصاب أعمى يارمسيس» ثم سقط يتخبط فى دمه فامتنعت من فورى عن متابعة الفتك و مواصلة البطش و كانت نجاة البقية الباقية من أولئك الفارين الضعفاء على لسان ذلك الشيخ الاعمى الذى ما وعظنى مذ كنت غيره و لاعرفنى قدر نفسى سواه و الآن أحس كأن السهم رد الى مرسله وان ذلك الاعمى اصاب هذا الأعمى فيأيها المصريون بعد لاتغرنكم الأيام واتقوا سهام الانتقام . ثم حول الملك وجهه الى وقال :

وأنت ياصاحب النثر وشيطان الشعر فى عصر غير هذا العصر اعلم ان الجدود العظيم فى الدول والامم ينتهيان الى بناة الفسطاط وانهم خير من ورث النيل بعدى

غلبت و عدلوا ، و تطرفت واعتدلوا ، وأسرت و أطلقوا واستعبدت واعتقوا و خلدت بعدى الحجر وخلدوا بعدهم السير ذهبت الديانات ودينهم هو الدائم وبادت اللغات ولسانهم فى مصر قائم واستبعدت كل أمة فى وادى النيل ، وذكرهم فيه سائر جميل ، و شقى الغريب فيه بغيرهم ، و غمر من أول يوم بخيرهم واستوى السوقة و الملك على عهدهم وما تساويا من قبلهم ولا من بعدهم ، و تكافأ فى مصر الخليفة والعامل ، حتى لا أدرى أيها الرجل العادل ، و الانسان الكامل وان الذى استنزل روحى من عالم الراحة الكبرى بعد ثلاثين قرنا أو تزيد و سلط على من روحه ما يوجد العديم ويبعث الرميم وحاز لك الدول منذ التأسيس و الملوك من مينا الى انازيس فى منفيس على عهد رمسيس لقادر على أن يريك الفسطاط و اهلها و يشهدك تلك الدول و عدلها وأمة العرب وفضلها حتى اذا فتها بمن قبلها قضيت عليها أولها

(قال الهدهد) فخشيت أن تنقضى الرؤيا و لا أظفر من ملك الملوك بموعظة . فقلت أيها الملك ان بيننا رحما مبلولة لم تيبس و انك لجد هذه الأمة أولا وأخيرا فهل نصيحة غالية نسمعها منك أو موعظة عالية نحفظها عنك . قال عليكم بالاقدام فانه مفتاح الغنى و الطريق المختصر الى العلياء و السلاح الامضى فى معترك الاحياء به سدت وعليه اعتمدت فيما أسست و شدت و انه ليخرج أصحابه من غمار العامة الى عليا مراتب الملوك ومن هون الخمول الى العز والسؤدد و الذكر الجميل ، و لو لم أكن ابن (سيتى) وعنه ورثت مالك الدنيا لملكتها بالاقدام قلت زودنا متعنا يا مولاى . قال حاربوا الظالم ولا يغرنكم ما ترون من قوته و بأسه فانه كالأسد لا يزال يفترس حتى تفترسه نهمته . قلت الثالثة يا مولاى ولا أزيد . قال احفظوا أنفسكم ثم ضيعوا ما شئتم

(قال الهدهد) و عندئذ تثاءب النسر فتثاءب الملك واصحابه على اثره . فالتفت الى الاستاذ فرأيته يغالب الكرى وسمعته يقول كلمة المشادة اذا جاء الليل تمشى الشياطين . فاذا كان أصيل الغد فالتقى على المعاهد . و عند ذلك تبدل الزمان و المكان فخرجت من مسك الشيطان و دخلت فى صورة انسان و قيد ضعفى حيتى علوان .

أيها القبر

يامقر الناس والناس رفات ... ووساد الناس والناس عظام
ماجلال ربع منه خـــالدى ... فيك مابين رفات ورغام
انما الموت فنـــاء فلولا ... شيء والميت رمام وحطام
اوتديت الروح روح الحى يا ... قبر عباساً من الدهر العبوس
فاذا أنت عبوس ... تفزع النفس مخوف

بقعة أنت من الأرض فما ... يفزع القلب ؟ وما فيك فزع
خلق عزرائيل فيك عابثاً ... يحصب الأحزان تعلو وتقع
عابساً مل أثارات الأسى ... بنواحينا يود لو سفع
فاذا بالهالك يبـــدو غمة ... فيك ياقبر بها تشجى النفوس
واذا أنت عبوس ... تفزع النفس مخوف

صرخة الرحمة للحسن دوت ... فيك عاشرة الموت الجمال
وصرلعات الصلاح ارتفعت ... فزع الخير إذ الشر استطال
فيك أنات ابتئاس رجعت ... أنها شكوى والبؤس صيال
روح النفس لديك أنها ... سوف تسقى جرعة من ذى الكؤوس
فاذا أنت عبوس ... تفزع النفس مخوف

نبئونى ساكنى الرمس فقد ... عى بالدنيا فؤادى والحياه
لم يقـــدنى عقلى فيها ولم ... تجدنى شيئاً على الجد الاناه
ملئت بالخير والشر معاً ... واختفى بينهما الحق ولاه (١)
جئتكم ترفيه هى فاذا ... أنا عارفه النفس يؤوس
واذا القبر عبوس ... يفزع النفس مخوف

هذه الدنيا بها الحق خفا ... بعث الجهل به كل ارتياب
حيل بين الروح والحق كما ... حال بين العين والشمس السحاب
وحجاب ربما اشتفت به ... ثغرة من خلفها ألف حجاب
رب إنى جئت أبغى رشدا ... هدأة الريبة فى هذى الرموس
فاذا القبر عبوس ... يفزع النفس مخوف

عبد اللطيف ثابت

---

(١) استتر

حول ترجمة فوست

أغنية الأرواح

نختار للقارئ هذه القطعة والترجمة الانجليزية عن انستر والعربية عن طبعه لجنة التأليف و الترجمة والنشر ترجمة الأستاذ محمد عوض محمد

الترجمة العربية

لتنجل الغياهب ولترفع السقوف
ولتسمح السحائب لوجهها لطيف

ولتظهر الزرقاء ولتشرق الشموس
فيا لها بهاء تصبو له النفوس

النص الانجليزى

Vanish, dark arches
    That over us bend,
Let the blue sky in beauty
    Look in like a friend.

الترجمة العربية

أيا غيوم انقشعي لا تبق منك باقية
ويا كواكب المنى وسط الليالى الداجية

النص الانجليزى

Oh, that the black clouds

Asunder were riven,
That the small stars were brightening
All through the wide heaven!
And look at them smiling
And sparkling in splendour
Suns, but with glory
More placid and tender;

الترجمة العربية

انظر لسكان السما   ابدع بذاك منظراً
فى كفهم جميع ما   تشتاق أنفس الورى

***

يا ما احيلاهم إذا   مروا على وجه الثرى
غص الفضاء من شذا   عبيرهم منتشراً

***

Children of heaven
In Spiritual beauty,
Descending and bending
With billowy motion,
Downward are thronging,
Willing devotion

الترجمة العربية

كم أبصروا من عاشق   منهمك فى حبه
فى الروض والحدائق   يتيم وسط صحبه

النص الانجليزى

Flowing to meet them
Loving hearts longing
Sighing to greet them.

الترجمة العربية

انظر الى الانهار انظر الى الازهار
انظر الى الاشجار ابدع بذى الثمار

ooo

عنا قيد تدلت من أفرع الكروم
بدائع تجلت تصبي نهى الحليم

النص الانجليزى

O'er field and o'er flower
On bank and on bower,
The folds of their bright robes
In breezy air streaming
Where loving ones living
In love's thoughtfull dreaming,
Their fond hearts are giving
For ever away,

الترجمة العربية

انظر الى الاعناب تسيل خمراً صافية
تسيل فى الهضاب انهار راح جاريه

ooo

حصباؤها من الورد وخالص الزبرجد
يميل فوقها الشجر بكل غصن أملد

ooo

أبدع بذاك نهراً يسيل فى المروج
ثم يعبر بحراً ذا منظر بهيج

ooo

وسط جبال عاليه يكسو رباها السندس
فيها العيون الجارية من الصفا تنبجس

النص الانجليزى

Bower on bower,
    Tendril and flower;
Clustering grapes
    The vine's purple treasure
Have fallen in the wine-vat,
    And bleed in its pressure —
Foaming and steaming, the new wine is streaming,
    Over agate and amethyst,
Rolls from its fountain.
    Leaving behind it
Meadow and mountain,
    And the hill-tops smile greener, far down where it breaks
Into billowy streamlets, or lingers in lakes.

الترجمة العربية



يا طير إعانك فاشرق من راحها وغردى
ولترحى ولتطرق وسط جنان الخلد

النص الانجليزى

And the winged throng, drinking deep of delight
    From rivers of joy, are pursuing their flight.

الترجمة العربية

وفى السماء حلقى نحو النجوم الزهر
للغرب أو المشرق للشمس أو للقمر

* * *

حتى توافى جزراً وسط البحار قائمه
ياحسن هذا منظراً يشفى النفوس الحائمه

النص الانجليزى

Onward and onward,
    Wings steering sun-ward.

Where the bright islands, with magical motion.

Stir with the waves of the stirring ocean.

ثم يبقى من النشيد هذه القطعة

فيها الرياض الزاهرة فيها المروج الناضرة

فيها العيون الساحرة ذات الجفون الفاترة

* * *

الحور فيها تمرح ترقص أو تغرد

أو في البحار تسبح أو في السماء تصعد

ثم يبقى من النص الانجليزي القطعة الآتية

Where we hear'em shout in chorus ;

Or see 'em dance on lawns before us,

As over land and over waters

Chance the idle parties scatters.

Some upon the far hills gleaming,

Some along the bright lakes streaming,

Some their forms in air suspending,

Float in circles never-ending.

The one spirit of enjoyment.

Aim, and impulse, and empolyment,

All would breathe in the far distance

Life, free life of full existence

With the gracious stars above them,

Smiling down to say they love them.

* * *

ثم عدت الى نشيد الملائكة فى آخر الفصل الأول فلم اجد بعد بدواليك النصوص الترجمة العربية

صعد المسيح الى العلا

من بعد ما سكن الثرى
طوبى لكم قد آن لا
أغلال أن تتكسرا
سيروا وجدوا رافعين
لواءه فى اعلا الذرا
ولتنشروا علم الاخوة
والحبة فى الورى
يكن الرئيس لكم ظهيرا
منجداً ومؤزراً

النص الانجليزى

Christ is arisen
The Lord hath ascended;
The Dominion of death
And corruption is ended.

***

Your work of obidience
Haste to begin;
Break from the bondage
Of Satan and Sin.

***

In your lives His laws obey
Let love your governed bosoms sway —
Blessing to the poor convey,
To God with humble spirit pray,
To Man His benefits display.
Act thus, and He, your Master dear
Though unseen, is ever near!

وليس لنا بعد هذا إلا أن نقول بأحد احتمالات أربعة :

الأول — أن الترجمة الانجليزية غير صحيحة

الثاني — أن الترجمة العربية غير صحيحة

الثالث — أن جوته فى الألمانية غير مفهوم وانه لم يفهم ما يريد ان يكتب

الرابع — أن أكون جاهلا بالعربية والانجليزية

وأملى أن يكون الاحتمال الرابع أصح الاحتمالات ؟

اسماعيل مظهر

مصرع كليوباترا

تقدمه وأسف ، شوقى فى مصرع كليو باترا . فى التأليف . . فى الشعر والمعانى ، شعر ، من حسنات الرواية ، مجمل الرأى

نريد أن نتكلم فى — مصرع كليوباترا — رواية شوقى بك ، وقبل أن نبدأ الحديث أود أن ألفت النظر ، وأود أن أظهر الأسف أيضا على تبدل النقد ولغوه عند بعض الكتاب . أود أن ألفت النظر وأظهر الاسف لانى رأيت بعض الكتاب يسوقون القول جزافا فتراه ليس نقدا يمتدح الحسن و يستهجن الغث . بل هو أشبه بالأعلان . تساق فيه ألقاب الأمارة والخلود سمجة ممجوجة . لأنها بلا دليل ولابحث . ليس هذا نقداً . بل أعلانا وأعلانا سمجا . أما نحن فنريد — ونستعين بالله — أن نتحدث عن شوقى فى روايته الجديدة حديثا منصفا مدعما بالأدلة والبراهين . لانحابى فيه ولانغالى ولا نتحامل .

شوقى فى مصرع كليو باترا

أما شوقى فى هذه الرواية فهو قد تحول حقا ولم يعد شوقى الذى نعرفه فى كثير من شعره — شاعر كلام موزون مقفى . . يغرب و يطيل ثم لاترى فى النهاية شيئا . . بل هو فى هذه الروايه — أجمالا — أكثر توفيقاً من حيث « القصيدة » . وأكثر مغايرة لنفسه من قبل . فهو فى الحق قد تطور فى هذه الرواية تطوراً موفقاً حسناً . ونبدؤ نقدنا

في التأليف

أول ما نرى من مواضع النقد في الرواية من حيث التأليف كونها كلها شعراً أليس معنى أنها رواية (شعرية) أن تكون كلها شعراً. فليس الغرض السبق وفرة المحصول وفي كميته — بل الغرض في كيفيته وقيمته — وهل من الدقة الفنية أو من المعقول عادة أن يكون كلام الخدم شعراً ؟ . . أظن لا . . أما شوقي فقد جعل أبطال روايته كلهم شعراء . . حتى أن هيلانة حين تبلغ حابي أمر الملكة تقوله شعراً . . وتصور خادمة تجيء لتعلن بقدوم الملكة فتقول : أمرت أن أقول للأمين — ستحضر الملكة بعد حين — فبلغ الأمر الى زينون — أو أن الملكة تأمر ساقيها بأن تحضر النبيذ فتقول : يا غانية — هات النبيذ — وهل هذا يعتبر شعرا . . ؟ وهنا أذكر أن (شكسبير) حين ألف عن كليوباترا لم يجعل أشخاص روايته جميعا ينطقون بالشعر بل جعل المواقف الشعرية فقط شعرا . ولكن شكسبير هو الخالد حقا . لا كلام يكتب . . وقبل ختام الرواية أوقفنا الشاعر أو وقف هو موقفا عجيبا لم نفهم سره ولم ندرك أهو من أسرار عبقريته التي لم نفهمها أم هي سقطة تأخذ عليه ، وإني لوددت لو يشاركنا القراء في فهم هذه النقطة من الرواية ، عندما يدخل أنوبيس ويحمل إلى حابي نبأ كليوباترا المنتحرة هي ووصيفتيها . شرميون وهيلانة — ويرى حابي محبوبته هيلانة صريعة ثم يكتشف أنها لا تزال حية لم تمت . فإذا لم يفكر في إنقاذها وقد أعطاه أنوبيس (حقة النجاة) التي إذا سكب منها في فم الفتاة لم تمت . . . هل من المعقول أن أرى حبيبتي في النزع ومعي ترياق شفائها ثم أتوانى عن إنقاذها وأغفل عنه . . ؟ على أننا نحسن الظن بشاعرية شوقي إلى النهاية ونعلم أنها لا تخطئه . بل وتعدها دقة فنية جميلة . إذ نزعم أنه تعمد هذا لأن صدمة الموقف قد أذهلت حابيا عن التفكير في إنقاذ حبيبته وشغله الخطب المفاجئ . وأوقف تفكيره . حسن جدا . نسلم هذا جدلا . ولكن الذي لا نسلمه قط . إلا إذا تنازلنا عن عقولنا أو قيض الله لهذه العقدة حلا ولو بمعجزة . . الذي لا نسلمه أن يذكر أنوبيس حابيا بحقة النجاة ثم يقف (حابي المحب الذي يرى جثة حبيبته ينازعها الموت روحها) هذا الموقف البليد . فلا يتقدم لإنقاذها . بل يجيب في بلادة غريبة (هيهات أعصيك أبي هيهات أن أنس اسيادك أنس ذاتي) ص ١٠٤ . بل لا يكتفي بهذا فيعطي الحقة إلى أنوبيس

لولا أن يأمره (بل اسكب فى فم الفتاة لعلها تصحو من السبات) لاأفهم والله ماسر هذا الموقف الغريب . ولكنى أثني على الله صادقاً أن يكون العيب عيب تفكيري وفهمي احترامى للشاعرية شوقى وفنه لأنها سقطة يعز على كرجل يجل شوقى أن نعدها عليه ولكنى أمام التفهم والتمعن والبحث لاأجد من سبب إلاأنها غلطة فنية فاضحة . ومن ير غير هذا ويقنعنى فأنا مستعد لتغيير رأيى بل ويسرنى ذلك جداً (١)

ونقطة أخرى من نقط الضعف فى تأليف الروايه . يقول شوقى بك فى حديثه مع مجلة (كل شيء والعالم) عدد ٢١١ (قيل إن كليوباترا أرادت خيانة أنطونيوس فأرسلت إليه وهو يقاتل من ينبئه بأنها انتحرت . وخالفت أنا هذا الرأى فأوجدت شخصية (أولمبوس) وهو الذى أبلغ الخبر (كذبا) لأنطونيو . نعم إن شوقى بك قد أوجد شخصية أولمبوس ولكنه لم يعطها أية صورة لائقة تضاعيف الروايه ولا فى الذيل (نظرات تحليليه) . وليس فى التمهيد غير (أولمبوس طبيب رومانى فى بلاط كليوباترا) فهو قد أوجده ليبلغ انطونيوس خبر انتحار كليوباترا كذبا ثم يختفى طول الروايه . أما لماذا كذب ؟ . . ولماذا أبلغ عشقا فى الخبر الكاذب إلى انطونيو ؟ . . فهذا مالا نعرف عنه شيئاً . فأولمبوس طبيب رومانى فى بلاط كليوباترا أبلغ أنطونيو كذباً خبر انتحارها لأن شوقى أراد ذلك .

فى الشعر والمعانى

وكذلك فى الشعر والمعانى أشياء نأخذها على شوقى سنعرض بعضها على القارىء ليشاركنا و يخالفنا أيضاً فيها . فليس لنا من قصد غير النقد الحر البرىء :

فى ص ١٦ — والذى ضيع العروش وضحى — فى سبيل بألف قطر وقطر . وفى القاموس المحيط القطر الناحية . فهل أضاع انطونيو (ألف ١٠٠٠) قطر حقاً أم هو (كلام) من مبالغات الشعر التى تنثر بلاحساب ؟

ص ١٩ — قل لى أحوى البلاد مشرد — هو أم له فى عصر يزار — أليست الشطرة الثانية ثقيلة جىء بها تكملة البيت ؟ وما معنى (يزار) ؟ هل داخلة فى الاستفهام . أى

---

(١) كنت أود التحقق من إقامة هاتين على المسرح كما تعقدها فى الرواية، ولكنهم حذفوا هذا المنظر من الرواية عند التمثيل فى الأوبرا

هل له قبر بمصر وهل يزار قبره ؟ أم للغاية أي ليزار ؟ على كل حال المعنى لاقيمة له .

ص ١٩ أيضاً ليسباس تسائل تجاهل عارف . ليسباس : بل جاهل لم تأته الاخبار . ضبط جاهل بالكسر يجعل المعنى بلا تجاهل جاهل وتجاهل الجاهل غير ممكن . وفي ظني أنه لو جعلها بل جاهل بالضم على أنه خبر لمبتدء محذوف — بل أنا جاهل — لاستقام المعنى

ص ٢٠ — آلي وأقسم لا يرى في قصرها — حتى يقوم بجده المنهار . في هذا البيت مثل بارز لتحكم القافية وعجز الشاعر أحياناً عن التخلص منها إلا بإفساد المعنى . فأن الدقة ألا يبني الفعل هنا للمجهول . بل يبنى للمعلوم فيقول (حتى يقوم بجده المنهار) فعلم النفس الحديث يقرر أن المغلوب (بفقد مركزه) يدعم نفسه و بالدعوى والتوعد فليس اذا أهان شخص شخصاً ولم ينتقم المهان لنفسه وأراد توعد خصمه . ليس يهدده قائلا (والله ما أسيه ألا إذا أهين . .) بل يقول الا إذا (أهنته) مثلا . . .

هذا هو الوضع الطبيعي الذي يوافق علم النفس . لان في اسناد (الاهانة) إلى نفسه رضاء لها وفخراً .

ص ٢٨ — لوقلت قبلي لكان القول أشبه بي — كأس المنايا على الأبطال دوار — ، لا أريد من القارئ الا أن يتصور رجلا من الذين يغنون (المواويل) حين يقرؤ الشطر الثاني من هذا البيت . فهو شطر من موال يغنى على الارغول . . أجدر بشاعر من شعراء (الربابة) لا بشاعر هو (أمير الشعراء) الحقيقيين

ص ٤٩ أمض الى المجد ولا — يقعدك شغل في البلد . يقعدك شغل في البلد ؟ شيء جميل . . كنت فين ياحسين أفندي امبارح . ؟ والله كان عندى (شغل في البلد قعدت له امبارح . ! ! هذا شعر . . . ومن الشعر الخالد . ! !

ص ٥٢ — ولم أر كالحرب امتراح قتيلها — وافقنى الى القيد الاسير المقيد . . هذا كقول الشاعر — كأننا والماء من حولنا — قوم جلوس من حولهم ماء . .

ص ٧٧ — كليوباترا زودينى قبلة — من ثناياك العذاب الشبمات . الثنايا الأسنان الامامية . فهل اذا قبل الأنسان شخصا (ولاحظ أنه في موقف الموت) يقبل أسنانه . . ؟

ص ١٠٤ — أسكب في فم الفتاة — لعلها تصحو من السبات — في القاموس المحيط

(والسبات كغراب اليوم أو خفقه أو ابتداؤه في الرأس حتى يبلغ القلب) فهل ذات هيلانه في شيء من هذا ؟ كلا بل هي مائتة تحتضر وأنوبيس يطرحها ولكنه الكلام الموزون المقفى

(ص ١١١) وصف الشاعر لذعة الأفعى بأنها وخز أخف وأهون من وخزات الإبر (ص ٧٠) ثم هو في هذه الصفحة يصفها بأنها كمس الجمر (لقدمت يدي جمرة) فأيهما نصدق ؟ أم هل وخز الإبرة ومس الجمرة لا فرق بينهما عند الشعراء الخالدين ؟

شعر

وإذا أطلقت كلمة شعر فإنما أريد شعرا صادقا حيا . الى جانب هذه المآخذ التي عرضنا الى شيء كثير منها ، شعر صادق يبلغ فيه شوقي درجة عالية من السمو والإبداع ، خليقة به وخليق بها ، وفي الحق أن في (مصرع كليوباترا) بعض الشعر الذي يعتبر من بدائع الشعر العربي ونوادره . وكما قلت شيأ من الشعر الموزون المقفى فقط .. أدل على نوع من الشعر الذي أعني قوله (ص ٥٩) في وصف مطاردة الفلك الفلك (كسر أراد تبرا أجبر) وص ٣٠ أنا الى انتصر — بل انتصر المتمني . ومن أبدع وأجمل الشعر وصفه لكف الملكة على لسان حبيبا . وقطعة أنا أنطونيو ، ومناجاة أنوبيس للأفاعي ومحاورة الملكة مع أنوبيس ، وهنا أحب أن أنوه بالذكريات أبدعته قريحة شوقي سحرا حلالا — عن الموت والانتحار — اذا جاء كان بغيض الوجوه وإن جيء كان حبيب الصور . ومن أحكم الكلمات التي صادفت موقعها كلمتي (الوجوه) و(الصور) في هذا البيت . فإن الذي يأتيه الموت (يواجهه) كأنه غول مهاجم . وأما المنتحر (يتصور) الصور الحبيبة عن الموت المنقذ . ألست ترى أن هذا بيت بارع ودقيق ؟ .. وجميل حديث الملكة الى زنبقة الأصيص . ولست أريد أن أدل على كل شيء حسن في الرواية أو أفصل في ذلك . فحسبي هذا يغنيك عن الاستمتاع بما فيها من الشعر الرقيق الذي يجعلك تشاركنا في أن شوقي قد (تطور) في هذه الرواية أجاد في شيء كثير منها .

من حسنات الرواية

فى بعض المواقف من هذه الرواية قد وفق شوقى توفيقا عظيما . فقد وفق شوقى فى شخصية المضحك أنشو وأنطقه بفكاهة بارعة . والتوفيق الجميل هو انطاق أنشو فى هذه المناسبة (ذكر زيتون للمكتب ص ١٧ — ١٨) فأن المشاهد والتى يوافق علم النفس (وخصوصاً ما يسميه صديقنا الأستاذ سلامه موسى مركب النقص) إن مثل أنشو يكره ذكر العلم والتحدث عنه لأنه لا يسيغه فهو (يفتش) عن براطيل . ثم أن شوقى قد وافق الواقع جداً اذا نطقه بحديث النضار والمال فثله معقول جداً أن يكون محبا للذهب . والمحاورة بين المضحك هذا وبين زيتون بديعه . ص ٦١ — ٦٢ مناجاة أنوبيس للأفعى جيده وتأمل الوصف الدقيق فى قوله وقيل أنوبيس حاوتسيل — أليه الأفاعى اذا ان صفر . رغم أنه يذكرنا بقول الشاعر القديم ، وسالت بأعناق المطى الأباطح . وشوقى بتلك المناسبة يلقى حكمه وأمثاله وإن كانت أحيانا تكون متكلفة غير طبيعية أو مسبوقة (١) فهو فى هذه المناجاة ينطق أنوبيس بهذه الحكمة الجميلة مقارنة بين الأفعى وبين الناس — وتقتل عن عيون السلاح ويقتل قاتلهم عن جنب . وفى حديث الملكة مع أنوبيس — وقد بلغ فيه شوقى درجة عظيمة من السمو — فقط من توفيق شوقى البارع فى أنطاقه أنوبيس مناديا الملكة (يا ابنتى (ص ١٠٧) زعمت ابنتى الموت شخصا يخشى الخ . .) فأن المعقول جدا أن الملكة بعد الحديث الطويل بينها وبين أنوبيس والاشتراك فى التفكير وخوالج النفس ، ووقوف الملكة موقف السائل المستفيد من أنوبيس . هذه الحالة من شأنها أن ترفع الكلفة وتنسى أنوبيس واجبات الجلالة والخضوع . فينادى الملكة نداء طبيعيا غير متكلف (ابنتى) . ذلك بعض توفيق شوقى

مجمل الرأى

ومجمل الرأى أن (مصرع كليوباترا) كشعر محاولة موفقه . وبها قطع وصور وأبيات بديعه . تقرؤها مستمتعا ومحلقا مع عبقرية شوقى فى سماء الشعر السامى المغنى .

---

(١) كانطاق أنوبيس بالمناسبة بحكمة « الأقارب عقارب » — من الناس الأفاعى — يعيب السم فى الأفاعى وكل السم فى فيه ؛ من فمه ولونه — خلق الناس تخشى الأفاعى — وأجمعوا على الضعيف الأقوياء فأنه يذكرنا بقول الشاعر السابق — والناس من يلق خيرا قائلون له — ما يشتهى ولأم المخطىء الهبل .

كما أن بها ماهو فاتر لاشعر فيه . . وأما من وجهة التأليف والفن كرواية للتمثيل فهي أقل منها كثيراً وشوقي فيها شاعر مبدع أكثر من روائي بارع . ثم هي طويلة كرواية مسرحية . وقد رأينا تمثيلها يستغرق أكثر من أربع ساعات ويطغى (الماتينيه) على زمن (السواريه) رغم حذف بعض المناظر . ومن الناحية التاريخية . وهي الناحية التي يهتم بها شوقي بك كثيرا نرى أن المؤلف حر في أن يظهر لنا أية صورة عن الشخصية التاريخية مادامت لاتناقض النص التاريخي . فلا بأس في أن يصور لنا شوقي كليوباترا ملكة وطنية شريفة مادام أن التاريخ لم (يثبت) عكس ذلك . وختاما نقول إن المسرح المصري الفقير — بل المعدم — من الروايات الجيدة يقدره ويهمه أن يجد مؤلفين من أمثال شوقي والدكتور أبو شادي لهم شهرة ولهم احترام في عالم الأدب . ومهما يكن رأينا في مصرع كليوباترا . فقد قضينا في قراءتها ساعات عذبة لذيذة . وأن قضينا في رؤية تمثيلها ساعات مملة طويلة لولا أنغام عبد الوهاب . كليوباترا (قصيدة) جديرة بأن تحمل اسم (أحمد شوقي) ؟

القاهرة — محمود علي الشرقاوي

ضحية الأغاني

ما كادت آخر نغمة من صوت فردوس الساحر تتلاشى في سماء الغرفة الفسيحة حتى طبق الفضاء تصفيق الفتيات المحيطات بالبيانو وأقبلن عليها يهنئنها و يعجبن لتوقفها عن الغناء طالبات منها مداومته . فتمنعت وحمرة الخجل تصبغ خديها الأسيلين . فألححن عليها فأطرقت حياء وتمتمت أنها لم تعتد مثل هذه الأغاني المطلقة من كل قيد . فعظمت جلبة الفتيات واشتد ضحكهن من سذاجتها فغادرت البيانو وأسرعت إلى والدتها الجالسة في وسط الغرفة مع السيدات وألقت بنفسها بين ذراعيها وخبأت وجهها في صدرها . فلحقت بها الفتيات وهن يضحكن و يقهقهن . فسألتها والدتها عما بها . فلم تحر جواباً . فأخبرتها احدى الفتيات بأنها و رفيقاتها التمسن منها أن تغني بصوتها الرخيم على توقيع البيانو احدى الأغاني الدارجة وهي : «العشة لسه ما آتاش . عطشى في خدي التاني» لكنها لم تصل إلى كلمة «عطشى» حتى خرج الصوت من فمها متعثراً مرتعداً لكنه بديع في اضطرابه مشجٍ في ارتعاده . ثم ارتج عليها حياء من معنى الأغنية فأمسكت عن الغناء . ولم تجد رجاؤنا نفعاً في اعادتها إلى إتمام المقطوعة .

فقالت : اعذريها فلم يمض على خروجها من المدرسة الداخلية غير شهور قلائل ولا عهد لها بمثل هذه الأغاني التي لم يكن يحل هناك سماعها أو الترنم بها .

ثم رفعت رأس ابنتها عن صدرها وقبلتها في عينيها الخجلتين وأردفت : لا تراعي يا حبيبة قلبي في التغني بمثل هذه الطقاطيق التي علمتك إياها من لوم عليك أو تثريب فكل السيدات والأوانس ينشدنها بمسمع من الناس اجمع دون أن يجد أحد غضاضة في ذلك . فعودي إلى البيانو وشنفي آذان ضيفاتنا بصوتك الشجي لئلا يقال أنك تقلين عن مثيلاتك رقياً وحضارة .

فنهضت فردوس متعثرة بأذيالها وجلست إلى البيانو وشرعت تغني الأغنية ذاتها . لكن صوتها المسبي لم يزل يتخلله من تأثير الخجل اهتزاز خفيف يزيده عذوبة وطلاوة

و كانت قاعة الاستقبال في قصر عبد الرحيم باشا غاصة بنساء الطبقة الراقية و بناتها فحزنا كأن على فردوس وحلقن بطرنها وابلاً من التهكم والسخرية لاحجامها عن

التغني بالطقاطيق المتداولة لانها تحتوي دعابة حية بريئة . فسألت احدى الزائرات أمها عن سنها . فاجابتها بانها فى السابعة عشر من عمرها . فاندهشت الضيفة وقالت لفردوس :

أتحكونين حيية خجولة فى هذه السن ؟ مع أن لك من غناك ومقامك مايدرأ عنك كل شبهة ويماشط بك التهور . إقلعي عن هذا يابنية فلا يرمونك بالجمود والانحطاط فاق هذه الاغانى ماينبو عنه سمعك وينفر منه قلبك . فهى صورة من الحياة البشرية لابد لكل فتاة أن تلم بها عاجلا أو آجلا . ولا إخالك تجهلينها حتى الآن .

فصبغ الحياء وجه فردوس الجميل واطرقت خجلة . فتعالت أصوات النساء والفتيات بالضحك والنكات . وأخذت كل واحدة تقترح عليها أن تغنى اغنية تسميها لها . فقالت حرم فاضل باشا : أنشدينا اغنية السرير ، ارخى الستارة . .

وقالت الآنسة سنية بنت مصطفى باشا : لابل غني لنا حديث الناموسية ، وشبكها وحبكها . . واحضن وأبوس . .

وقالت سميرة هانم زوجة الفريق راتب باشا . دعوها تغني نشيد التاكسى : حقز فزو . . هو يزمر واحنا نهزر . .

واردفت منيرة هانم حرم اللواء حسيب باشا : أرى أن تغني شفتي بتاكلني أنا بعرضك خليها تسلم على خدك .

وكانت النكت أثناء ذلك والكلمات ذات المعاني المستترة تساقط على تلك المسكينة تساقط المطر الصيب وهى واجمة لاتفوه بكلمة . فاقبلت عليها امها وضمتها الى صدرها وحثتها على الشجاعة ومجاراة تيار العصر ومقتضيات التمدن الحديث . فامتثلت الفتاة مرغمة . وشرعت تغني مايعرضنه عليها والسيدات والأوانس يرددون مقاطيع الاغانى فرحات جذلات .

ولما سردن كل الطقاطيق الخليعة التى هى ثروة مصر الموسيقية الشائعة ، هنأن فردوساً بتغلبها على حيائها الذى لامسوغ له ، وودعنها بكلام ينطوى على التهكم والسخرية

* * *

جلست فردوس بعد انصراف المدعوات فى تلك الغرفة الفخمة الرياش وحيدة تتنازعها الافكار وتتقاسمها العواطف المتباينة . وقد ظلت معانى الأغانى عالقة بذهنها تتردد فى

اجوائه تردد الصدى بعد تلاشي الصوت . فقارنت بينها و بين تلك الأناشيد الحاضة على الفضيلة التي كانت تترنم بها في المدرسة . والتي تسمو بالنفس الى مستوى أعلى من مستواها الحسي . فساورتها رهبة وأدركتها خشية من تخش الاغاني التي لقنتها اياها أمها . والتي ترددها افواه الاوانس وتنشدها السيدات في خدورهن والأسر في مجالس انسها وسمرها . وتصايحها الصبية في السبل والطرقات . وتصور لادراكها الفتي مبلغ الاثر السيء الذي تتركه في أخلاق النشيء . فتتسلل سمومها الممزوجة بسحر التوقيع وتشوقها الطرب الى العواطف والمشاعر فتسف بها الى الدرك الاسفل .

دارت هذه العواطف في مخيلتها وكادت تتأصل فيها لولا وصايا أمها وحض تراثبها الفتيات وصديقات اسرتها اللواتي هن من علية القوم وأكابرهم . فقد أكدن لها أن هذه الاغاني صورة من صور حياتنا التي لاعيب فيها ولاعار في الترنم بها والاستمتاع بمعانيها . فلماذا تتفرد هي باقصائها والاعراض عنها ؟ لاسيما وقد بدءا انها شرعت تنفذ الى شعورها الناشيء الذي اخذ يتفتح لمعاني الحياة ويستسلم الى تيارها .

تعارض في عقلها الخلق الرضي ، والخلق الرديء ، وتماحكا فيما بينهما أمر الاغاني الداعرة التي تدعو الى الفسق والفجور وتحض على خلع العذار والاستسلام الى الملاذ الجسدية . فهذا يرجو نبذها واقصاءها وذاك يبغي توطيدها وتحبيبها . فالآن نزعة الشر الغريزية في الانسان الخلق الردىء فكانت له الغلبة على مشاعر الفتاة الغضة وعواطفها الفتية . فمالت الى هذه المفاسد تنشد بها نفسها وتتغذى بها روحها دون أن تدرى ما تخبؤه لها في دسمها

جلست الى البيانو وأنشأت ترجع الاغاني مستطيبة عباراتها ، مستلذة بمعانيها ، مستملحة ما تستثيره من شهوات حتى توردت وجنتاها وفترت عيناها وأثيرت عواطفها فاسندت رأسها الى يدها وغاصت في بحار التأملات التي كانت تزين لها الغرور وتحسن لها كل سوانح النفس ونزعاتها

وكانت من حين الى آخر ترفع رأسها وتتطلع الى نافذة أمام قصرها اعتاد فتى استهوته محاسنها أن يطارحها منها الغرام . فاذا رأتها مغلقة تنهدت وعادت الى تأملاتها

ومما يدعو الى العجب انها كانت منذ برهة تنفر من هذا الفتى متخذة من قوم عبادتها ترساً تدرأ به مني النفس ونزعات الصبا . وكانت تغلق نافذتها اذا تراءى وقد

همت مراراً أن تطلع امها على امره معها لكن الحياء منها فسكتت على مضض

أما الآن وقد تسربت نشوة الأغاني الى عواطفها فحركت فيها كل المشاعر الطيبة فقد تاقت نفسها الى رؤية الفتى الذي خفقت تستعيد ملامحه في ذكراتها فتجده جميلا فذاً. فلماذا تزور عنه وتأباه ؟ ولماذا لا تمثل معه الادوار التي تنوه بها الاغاني طالما هذه الأناشيد تعبر عن صور حياتنا ومقتضيات وجودنا ؟ لاسيما وان امها وصديقاتها لايجدن فيها ما ينأ في الأدب ويخدش الشرف

و بينا هذه الافكار تتلاطم في مخيلتها فتحت النافذة التي كانت تتطلع اليها و بدا منها فتى بهي المنظر جذاب الملامح فابتسم لها في حياء وخجل لكنه لما رآها تنظر اليه على غير عادتها تجرأ وبادأها بالسلام. فافتر ثغرها الا فحواني عن ابتسامة خلابة معربة وردت عليه سلامه فاستطار فرحاً واشار اليها بالظل وارتد عن النافذة وغاب هنيهة ثم عاد وبيده خطاب اعده لها منذ زمن لكن نفورها منه منعه من ارساله لها . ورمى به اليها فتلقفته واسرعت به الى الداخل لتقرأه على انفراد خشية ان يفاجئها مفاجىء فطالعته بشغف وهيام وكانت كلماته الغرامية الملتهبة تزيد في ضرام مشاعرها الملتهبة حتى إذا انتهت الى آخر حرف منه أيقنت بصحة ما انطوت عليه الاغاني وتبين لها ان الحياة إذا تجردت من الحب الذي تختلج به العواطف الحسية اصبحت تافهة لا قيمة لها ، ولا معنى لوجودها . فسارعت في الرد على الخطاب بكلمات اجاجة السعير املاها عليها تأثير الاغاني المتملك مشاعرها والمستولية على مداركها .

وهكذا توافرت اليه الرسائل واجابها بالمثل . فكانت كتبه يأتي بعضها في إثر بعض دون ان تنقطع ، حتى اخرجتها عن طورها ودفعتها الى المغامرة بنفسها . فانتهى بهما الامر الى الاجتماع خلسة . وكانت تلتهب شوقاً الى وضع الاغاني موضع العمل . فبدأت بما توحيه أغنية « شفتي بتاكلني . . » ثم تنزهت معه في سيارة فقامت بتطبيقه نشيد التاكسي « حودي لزق . . . »

وما زالت تنتقل معه من الغنية الى اخرى لتعمل بما تحض عليه حتى اذا استبطأتها امها صباح احد الايام فدخلت غرفة نومها لتستطلع خبرها وجدت الغرفة خلواً منها والفت على المنضدة خطابا منشورا هذا نصه :

أغادرك يا والدتي العزيزة وفي قلبي اسى ، وفي فؤادي حسرة ، وما كان يودي فراقك ولكن قضي الامر ولا مرد لما جرى به القدر . فاذا كان ثمت ذنب فوزره واقع عليك .

لاني كنت طاهرة نقية . تنبو آذاناي عن سماع فحش القول وبذيئه . ويغلق فيّ دون التلفظ به . ويرتد طرفي عما من شأنه ان ينافي الحشمة والادب . لكنك

شئت ان اماشى تطورات العصر ، وان اعمل بمقتضيات المدنية . فعلمتنى اغانى لحنها الخلاعة وسداها التهتك . فنفذت الى نفسى البريئة فبدلت طهرها بدنس وعفافها بفجور . وعبثاً حاولت ان اتغلب على تأثيرها فى . فكنت ابوء دائماً بالخيبة والفشل ، لان للحن سحر يخترق شغاف القلوب ونياط الافئدة ، ويتسلل الى اعماق الروح فيتملك المشاعر ويستأثر بالعواطف .

وقد علمت ما أوحت به الى أغانيك وما ستدفع من أجله قلبى . فوداعاً ايتها الوالدة . يامن جنيت على ابنتك جناية ترتعد من هولها الارض ، وتقشعر من فظاعتها السماء .

ج . ن

رابطة الادب الجديد

THE NEW LITERATURE LEAGUE

مركز الرابطة : « بدار العصور » بشارع الخليج المصرى بميدان الظاهر بالقاهرة

منذ أن مهدنا بالبيان عن تكوين هذه الرابطة — ولا سيما فى عدد أغسطس الماضى من « العصور » — واهتمام الادباء بهذه الجامعة الفكرية التعاونية فى ازدياد . وقد رد سكرتير اللجنة التحضيرية الاستاذ كامل كيلانى على ما تلقاه من رسائل المستفهمين من القراء فى حينها . ويعتذر محرر « العصور » عن الكتابة المسهبة فى هذا الوقت عن « الرابطة » تاركاً للسكرتير العام عند انتخابه فى الاجتماع العام المقبل أن يقوم بذلك فى عدد قريب من هذه المجلة . أن يتبع ذلك نشاط « الرابطة » المنتظر . وما من شك فى أن تكوين « المجمع المصرى للثقافة العلمية » و « رابطة الادب الجديد بالقاهرة » من أجل الاعمال الانشائية الفكرية التى تمت فى مصر فى العهد الاخير . ولا ريب فى أن تساند هاتين الهيئتين الشقيقتين وتآزرهما للخدمة العامة سوف يؤدى الى رفعة الثقافة المصرية علمياً وأدبياً ، وبالتالى سيؤثر تأثيراً صالحاً فى النهضة الفكرية بالعالم العربى . فليس من الغلو بالتفاؤل أن نغتبط سلفاً لنتائج هذا الجهد الصالح الذى سيضمن بقاءه صفوة أساطين العلم والادب فى مصر — أولئك الذين يفهمون معنى التآخى العلمى والادبى ، ويعملون لكرامة العلم والادب ولخير المجموع قبل أن يعملوا لذواتهم .

ضباطنا

حادثة واقعيـــة

بكت احسان هانم بكاء انفطر له قلب ضابط المباحث القضائية ثم قالت له وهي تشرق بدموعها : انكم لم تعثروا على ابنتي الضائعة فماذا جئت تبغي مني ؟

فأجابها بحزن : عفواً يا سيدتي اذا آلمتك بحضوري ، فقد نقل الضابط الذي نيط به أمر البحث عن المفقودين وحللت محله . فأمرت بأن أبذل عناية خاصة بهذا الأمر فأتيت اليك لأحيط بكل ما من شأنه أن يكون له مساس بابنتك . فهل لك أن تطلعيني على ذلك لأؤدي مهمتي على الوجه الذي تريدينه ؟

فكفكفت احسان هانم عبراتها النسائية وقالت : ان ابنتي عدلات المفقودة لها من العمر ثماني عشرة سنة وهي جميلة الصورة كما يتبين لك من الرسم الذي معك ، ممشوقة القد ، عفيفة القلب ، تقية الثوب ، تتلقى علومها في مدرسة الارسالية الفرنسية فتذهب اليها صباحاً وتعود مساء ، وكانت سلوتي الوحيدة في حياتي ، وغاية أملي من دنياي ، حتى اذا كان ذات يوم ذهبت فيه كعادتها لكنها لم تعد إلي . وذلك منذ شهرين تقريباً . قالت احسان هانم هذا واجهشت بالبكاء

فتأنى ضابط المباحث حتى هدأ روعها ونضبت الدموع من محاجرها وسألها قائلاً : أتسمحين لي يا سيدتي بسؤال قد يثقل عليك لكني لا أرى مندوحة عنه ؟

فأجابت بصوت مختنق : تفضل يا سيدي

فقال الضابط وقد بدت الحيرة في وجهه : أما كان لابنتك صلات غرامية ؟

فانقبضت أسارير احسان هانم وأجابت بحدة : كلا يا سيدي ، فعدلات ملاك في صورة بشرية ، لا تهم نفسها بريبة ولا تجنح الى منكر مهما قوي الباعث على ذلك واشتد التحريض

فقال : أليس لها صديقة أو قريبة تختلف اليها وتقضي وقتاً عندها ؟

فأجابت احسان هانم : لم أعودها مثل هذه الامور

فاكتفى الضابط بهذا الاستفهام وانصرف على أن يعود إذا احتاج الى استعلامات أخرى

جلست احسان هانم واهية القوى متضعضعة الحواس . فقد أضناها البكاء وبراها القلق وبرح بها النوى . فدخل عليها أخوها اسماعيل وهو شيخ رزين قد حنكته الأيام وعركته صروف الدهر فطفق يواسيها ويسليها ويحضها على الاستمساك بعرى الصبر حتى أدخل بصيصاً من الرجاء إلى قلبها الذي تظاهرت عليه البلايا فتركته بينها نهباً مقسما

فلما آنس منها اقبالا عليه واصغاء لكلامه أنشأ يقول : اصرفي يا أخية عنايتك الى ما هو أنفع لك من البكاء والنحيب فالاستسلام لليأس المميت لا يرد لك ابنتك بل يرديك قبل ان تكتحل عيناك برؤيتها . ومن يدرينا فقد تعود اليك اليوم أو غداً فالله الذي بيده تصريف الامور قادر ان يجمعك بها في أقرب وقت

فتطلعت اليه احسان هانم بفرح وقد استشفت الأمل من خلال كلامه وصاحت بلهفة: يبدو لي من اقوالك انك تعرف شيئاً عنها فبالله عليك صرح لي بما في نفسك . قل لي انها لم تزل على قيد الحياة

فقال : هذا ما أرجحه

فرفعت احسان هانم عقيرتها صائحة : أين هي ؟ أريد أن أراها

فانتهرها اسماعيل قائلا : مهلا يا اختاه فاقوالي لم تخرج عن حد الحدث والتخمين . فلنفرض انها حية وانها لعوب . كلفة بزخرف الحياة الخلاب ..

فقاطعته بشدة صائحة : اني واثقة من عدلات فهي ارفع من ان تسلم مقادها لطيش الصبا ونزق الشباب

فقال : العصمة لله يا اختاه فلكل امرئ هفوة مهما سمت اخلاقه وحسنت مبادؤه . فقد تكون ابنتك خدعت وخلبها أولئك المكر ومن حيث لا تدري فهل تصفحين عن زلتها؟

فانتصبت احسان هانم واقفة كأن حية لسبتها وصاحت : اسماعيل ! اعرفك كثير الروية شديد الحذر . لا تلقي الكلام جزافاً فيخيل الي انك تريد الافصاح عن امر لكنك تلجأ الى التلميح دون التصريح . فهل وقفت على أثر لعدلات ؟ وهل زاغت هي عن محجة الصواب؟

فاجاب أخوها ان ابنتك وجدت

فصاحت حمداً لك يا الهي ! ولكن خبرني يا اسماعيل على اية حالة وجدت ؟

فقال تشددي يا أختاه وتقبلي احكام القضاء بصبر وجلد فليس للانسان طاقة بدفعها واصفحي كما صفح عن بك زوجك الان حالة ابنتك تستدر دماء القلوب لا دموع العيون

فصاحت وقد اعتمدت وجهها بيدها : أهذه هي الخاتمة التي كنت انتظرها ؟ ما كان يدور بخلدي ان شيبتي ستنزل الى القبر ملطخة بادران العار

فاقترب منها اسماعيل ونزع يديها عن وجهها قائلا صبراً يا أختاه فلست باول من نكب ولا بآخر من ينكب وها عدلات اقبلت مع ابيها فانظري اليها ألا تأخذك الشفقة عليها وقد زوت نضارتها واختفت معالم حسنها وشحب لونها وانطفأ نصيص عينيها النجلاوين !

فتطلعت احسان هانم اليها ولما رأت ما آل اليه امرها من الضعف والهزال والذلة والمسكنة حتى اوشكت ان تعسر عليها معرفتها تحركت في قلبها عاطفة الامومة ففتحت لها ذراعيها وضمتها الى صدرها صائحة ! ابنتي ! ابنتي !

لكن عدلات ما عتمت ان تملصت منها ونظرت اليها بحب وحنان وقد دمعت عيناها تأثرا وقالت بصوت متهدج :

لقد صفحت عني يا ماه كما صفح ابي . فرام حنانكما مداراة ما هتك من ستري . ولكن لئن تناول الصفح قلبيكما الرقيقين فلا اصفح عن نفسي ، فقد زلت بي قدمي في مهاوي العار ولا ينتشلني منها غير الموت .

فصاح ابوها وامها معاً : عدلات !

فاشارت اليهما بيدها ان يهدآ ! . وقد لمعت عيناها ببريق غريب وا كمد لونها واصفرت شفتاها وارتعشتا . فوقفت هنيهة صامتة وقد وضعت كفها على حشاها كأنها تسكن ما به واستتلت . لقد تفردت بالاثم فلا تفرد با لعقاب . ولكن ما اشد شقوتي عندما اتصور ما ستكابدانه من الآلام من جراني :

فهما بمقاطعتها لكنها أوقفتهما باشارة قائلة ان دقائقي معدودة واريد ان اقف امامكما كما ساقف عما قليل أمام الديان العظيم . فاعترف لكما بجرمي وذنبي لأنال صفحكما ـ على هذا يخفف من العقاب الآلهي الذي ينتظرني . فقد كنت كما تعهداني عفة نقية لا تنزع نفسي الى شر ، حتى اعترض دوني ذلك الضابط التي اطلعت خالي وابي على اسمه فانتهته من نفسي

حيناً من الزمن دون ان اصبح له صادقتي لكنه عمد الى معسول الكلام ولجأ الى الخديعة والمكر مظهراً نيته الحسنة . فبدا لي انه لا يبغي غير التزوج مني — والزواج عند الفتاة هو غاية المنى ومطمح الاماني . فلا تكاد تسمع به حتى تأنس الى قائله وتقبل بكليتها عليه فتقع دون ترو ولا تبصر في الشرك المنصوب لها — وهذا ما جرى لي . فقد وثقت به حالما أبدى لي عزمه هذا وكنت اقابله عند ما اذهب صباحا الى المدرسة ونتنزه معا عندما اعود منها مساء . فاخبرني ذات يوم انه خاطب امه بشأني وهي تريد مشاهدتي فصدقته فاركبني سيارة وناولني أثناء الطريق قطعة من الحلوى فاكلتها دون ان يخامرني شك في أمرها فاذا فيها مخدر قضى على حواسي فنمت ولم استفق الا في احد مواخير الدعارة حيث وجدت نفسي ملطخة بدماء العار

ولما لفظت هذه الكلمة اضطرب صوتها وتلعثم لسانها واختلجت اعضاؤها واهتز لها كل جسمها فصاح ابواها خوفا وجزعا فاشارت لهما بالسكوت وهي تمسك احشاءها بكلتا يديها وازدادت بصوت متهدج تخفت من دقيقة الى اخرى

بعد ما تمزق ثوب عفافي — ذلك الثوب الذي هو زينة الفتاة وحليتها في هذه الحياة — أجبرت في بيت الفجور ان ابيع عرضي لكل مشتر فكنت أضرب اذا ابيت واعذب وأحمل من الجور والظلم ما لا قبل لي به وانا اطلب الخلاص مما انا فيه فلا اجد اليه سبيلا لشدة الرقابة علي ، وليقظة حراسي الذين يحفون بي . حتى اذا وجدت منهم غفلة بعد مضي شهرين قضيتهما في عشرتهم الممقوتة هربت وأخذت أسير على غير هدى معتزمة الفرار منكما لكي لا تطلعا على عاري وشناري . حتى إذا أعوزني النصير في محنتي تطلبت معيناً يقوي عزيمتي الخائرة فوجدته في خالي اسماعيل . فسعيت اليه وأبديت له مكنون سري فرأف بي وجمعني بكما بعد ما نال صفحكما عني

وتوقفت عن الكلام وقد انحبس صوتها وجحظت عيناها وغار خداها واهتز ساقاها وتملكت عضلات وجهها تقلصات عصبيه ، فاستندت إلى الحائط وقد علت محياها صفرة الموت وطفقت تتلوى وهي قابضة على أحشائها بيديها . فصرخت أمها وجذبتها إلى صدرها واسندها أبوها جزعاً فقالت لهما بصوت تقطعه تشنجات النزع :

الوداع يا أبي - الوداع يا أمي أعفوا عني وانظرا الى ما جنيته . فقد تجرعت

سماً زعافاً قبيل دخولى عليكما وها هو الآن يقطع أحشائى التى تحمل ثمرة العار.

فصاحت أمها : ابنتى . لا تموتى فأنت سلوتنا الوحيدة . فقد غفرنا لك وصفحنا عنك

فقالت : أشكركما من صميم فؤادى ، ولكن قد حم القضاء ولا مرد له .

فصاحت احسان هانم بقسوة : أتموتين وأنت فى هذه السن ؟

فأجابت : الموت نعمة لبنى البشر . فهو ليل هذا اليوم القلق المضطرب المسمى بالحياة . وفى غفوته تهجع إلى الأبد الأحزان والآلام والمخاوف التى تنهش قلب الانسان

وهنا خارت قواها واخشلت قدماها فحملها والدها وخالها وأضجعوها على سرير واستداروا بها ، وهم يبكون وينتحبون ، فأخذت تتلوى من الألم ظهراً لبطن لكنها لا تزفر زفرة بل تطلعت الى أبويها بشفقة وحنان ... محاولة تخفيف لوعتهما غير أن الأوجاع كانت تعقد لسانها ، فأكبت أمها عليها تقبلها مبللة إياها بدموعها بينما ذهب خالها لاستدعاء طبيب . فأسندت رأسها على يد أبيها وألقت على والديها نظرة أودعت فيها كل ما يكنه قلبها لهما من حب وحنان . فصاحت أمها :

ابنتى ، عدلات ، أبقى لنا ، ارحمى ضعفنا وعجزنا فى شيخوختنا ، بل ارحمى شبابك وعيشى لتتمتعى بصباك .

فنهضت على مرفقها مستمدة من الموت قوة ، وقالت بصوت يخرج همساً تتخلله شهقة النزع :

ان حياتى إذا عشت تكون مجلبة خزى وعار لكما ولى ، فلا يغسل إثم الفتاة العاثرة إلا الموت ، إذ أى شئ يجدر بها المحافظة عليه بعد ما فقدت طهرها وعفافها ؟

قالت هذا وضمت يديها إلى صدرها كأنها تستنزل عطف أبويها الأخير على نفسها الراحلة ثم مال رأسها وطارت روحها إلى خالقها شاكية جور الانسان وظلمه ؟

ظهر حديثاً

قصة الطوفان

وتطورها في ثلاث مدنيات قديمة هي
الاشورية البابلية والعبرانية والمسيحية
وانتقالها باللقاح إلى المدنية الاسلامية

بقلم
إسماعيل مظهر
صاحب مجلة العصور ومحررها

بحث في مقارنة الأديان يقع في ثمانين صفحة من القطع الكبير فيه مقدمة مستفيضة عن حدود المعرفة الانسانية وتقسيمها على مقتضى كفايات العقل الانساني . وفي هذه المقدمة تحليل دقيق للفرض الامكاني والفرض الضروري والفرق بينهما واثبات أن فكرة وجود الله فرض ضروري للاحتفاظ بألفة العقل الانساني . ثم يلي ذلك ستعراض لقصة الطوفان كما وردت في القرآن ثم استعراض لها كما وردت في سفر التكوين وهو السفر الأول من أسفار توراة موسى . ثم فصل مستفيض في أصل القصة عند البابليين وأبطالها وأطوارها وأسماءها ونهايتها او وصف كامل لنوح البابلي — أوت نابشتيم — وكيف صنع الفلك وكيف رسى على الجبل وكيف أرسل من الطير رسلا وكيف منحته الآلهة الخلود — كل هذا في أسلوب روائي ميثولوجي طريف ، كما قرئت القصة في الالواح التي عثر عليها في أنقاض بابل

ثم بعد ذلك فصل في مقارنات عامة بين القصص الميثولوجية المختلفة كما وردت في مختلف العقائد عند الاغريق وأهل الهند وفي الآداب السنسكريتية والأقاصيص الصينية وعند المصريين وفي بلاد المكسيك وعند قبائل « التهوا » وفي البرازيل وهنود كاليفورنيا . كل هذا مسوق في صورة مقارنات مع ما ورد في الديانات الكبرى اعتمد فيها على جمع من كبار المؤلفين مثل جاكسون وينشر ومولتون وسير مونيار وليز ومكنزى وكنج والعلامة روبرت بروان الصغير ورايدمان وليتمن وكيتنج وأسفار الرغعيدا والفانا بارفا والمهابهاراتا وغيرها

الثمن ٥ قروش بخلاف أجرة البريد

يطلب من دار العصور ومن كل المكاتب المعروفة

معضلات المدنية الحديثة

ومقالات أخرى

بقلم

إسماعيل مظهر

صاحب مجلة العصور ومحررها

يخيل إلى الكثيرين أن المدنية الحديثة مدنية دعة وسلام وثروة فائقة ، يحكمون بذلك إذ يرون وجه المدن باسماً وضاحاً . فهم كالذين ينظرون في الطبيعة فيبتهجون بما فيها من جميل المناظر ، ثم يغفلون عما يختفي وراء هذه المناظر البديعة من قتال وموت وافناء في صور الحياة

أما إذا قرأت « معضلات المدنية الحديثة » فإنك ولا شك تعرف ما هي أوجه الشقاء التي تختفي وراء مظاهر المدنية . والكتاب عبارة عن مطالعات ومقارنات بين كتابين ألف أحدهما الكاتب اوستن فريمان الإنجليزي وألف الآخر العلامة مولرلير الألماني . فالكتاب في الواقع كتابين يضاف إليهما مقارنات في مواضع عديدة تبين عن قصد كل منهما وانتقادات شتى لبعض الاتجاهات التي اتجه فيها كل منهما

هذا بخلاف مقالات أخرى تناولت موضوعات حيوية لها شأنها اليوم في عالم الحياة والأدب

الثمن ١٥ قرشاً بخلاف أجرة البريد

ويطلب من دار العصور ومن المكاتب المعروفة

نزعة الفكر الاوروبى

مقالة مترجمة عن العلامة

جون تيودور مرتز

بقلم

إسماعيل مظهر

صاحب مجلة العصور ومحررها

لا جرم أن الفكر الأوروبى فى هذا العصر هو عنوان الفكر الانسانى . كما أن المدنية الغربية هى عنوان الحضارة الانسانية . فاذا وقفت على متجه الفكر الأوروبى وتشربت بهذه الطريقة روح المدنية الغربية : انتقلت من عالم الجمود الفكرى إلى مطاوعات الفكر الحديث ، وخرجت من حيز القديم البائد إلى مرونة الفلسفة الحديثة

والاستاذ العلامة جون تيودور مرتز صاحب كتاب « تاريخ الفكر الاوروبى » المعروف أجدر المؤلفين بأن يدرس وأن يعكف على فهم مغازيه وتفهم حقيقة المرامى الذى رمى اليها فى كتابه العظيم . ولقد صب هذا المؤلف الكبير كتابه فى قالب سلس مفهوم على دقة المعانى التى تناولها وعويص المسائل التى جال فيها جولاته التى رفعته إلى صف كبار المؤلفين فى أوائل القرن العشرين

وقد ترجمنا له هذه المقالة فوقعت فى أكثر من ٢٠٠ صفحة من القطع الكبير أحاطت بمنازع الفكر الأوروبى على اختلاف نواحيه من علم وفن وأدب وفلسفة إحاطة تامة .

نهضة فرنسا العلمية

في القرن التاسع عشر

مقالة مترجمة عن العلامة

جون تيودور مرتز

بقلم

اسماعيل مظهر

صاحب مجلة العصور ومحررها

«نهضة فرنسا العلمية» احدى القطع التي يتألف منها كتاب «مرتز» الذي اشرنا اليه في التعريف بمقالة «نزعة الفكر الاوروبي» وهي في الحقيقة استعراض للعوامل الحقية التي لعبت دوراً هاماً على مسرح الفكر الفرنسوي، وكان عنوان الفكر العلمي في القرن الثامن عشر، وشرح مستفيض للحوادث الجسام التي طرأت على فرنسا في خلال ثورتها الكبرى فكان لها اثر في الاتجاه الفكري فيها.

وفي هذه المقالة من الأدب قسط وافر، ومن العلم الوصفي قدر كبير. وفيها من التعريف باعلام الادب ورجالات العلم والتاريخ مايضاعف قيمتها. ففيها تقرأ عن كوفيه وعن كوندورسية وفولتير وديدرو و روسو وهوتو وجارا والفزيوقراطيين والتصوريين، وعن لابلاس وآبي هوى ومونج وغيرهم، قطعا تاريخية تصويرية شيقة مصبوبة في قالب طريف ومجلوة في ثوب تاريخي جدير بان يكون مثالا يحتذى لمن يريد أن يدرس متجهات الفكر الحديث أو من يحاول تدريس تاريخ الفكر

محاورات رينان الفلسفية

نقلها الى العربية الاستاذ علي أدهم

ارنست رينان احد ابناء الكثلكة الذين خرجوا عليها وثاروا ضدها . وأعدى ما يكون عدوك من عرف مواضع ضعفك . وهذا هو السر في قوة رينان

ان ارنست رينان أحد كبار الفلاسفة ومن أكبر مؤرخي النصرانية . كتب في تاريخ اللغات الارامية والسامية كتابا أعانه البحث في مصادره على الوقوف على كثير من أسرار التاريخ القديم فكان من أقدر المؤرخين الذين ترجموا عن حياة المسيح وعن تاريخ النصرانية في أدوارها الاولى . لهذا اختاره الفرنسيون ان يمثل فرنسا يوم أريد ان يخلد سبينوزا في ميدان [illegible] بلاهاي ، وكذلك اختاره ممثلو الحفل الحاشد ان يخطب الناس ، [illegible] الى النافذة التي كان يطل منها سبينوزا على الميدان قائلا — ولعل الله كان اقرب الى هذه النافذة منه الى أي مكان في الارض . — هذا على أن سبينوزا مات شريدا مطرودا من حظيرة اليهود منبوذا من جماعات النصارى .

أما محاوراته التي نقلها الاستاذ علي أدهم الى العربية أصح نقل وأدقه ، وفي أحسن أسلوب ، فاحدى مؤلفاته الخالدة . تناول فيها مختلف جهات الفكرة التي أسس عليها معتقده وثبتت عليها عقيدته ، ساقها على لسان غيره ولكنها مخ الحقيقة في مذهبه الفلسفي . وليس رينان غريبا عن أهل العربية فهو صاحب ذلك الرأي المعروف الذي رد عليه الاستاذ محمد عبده ، ثم صار فيما بعد كتاب « الاسلام والنصرانية » المعروف والذي اعتمد فيه محمد عبده على المؤلف ودار به الامر كما سبق وأظهرنا في العصور .

ثمنه ١٠ قروش صاغ غير اجرة البريد

ويطلب من دار العصور ومن المكاتب المعروفة

ثلاث أوبرات كاملة

من تأليف الشاعر المجدد الكبير

أحمد زكي أبو شادي

١ - الآلهة

٢ - بنت الصحراء

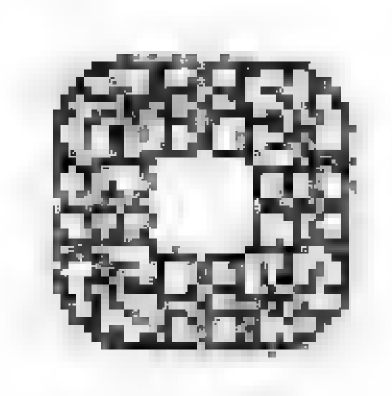
٣ - اخناتون

وهي أوبرات كبرى متنوعة عنيت دار العصور للطبع والنشر باصدارها بما عرف عنها من العناية الكاملة بأمثال هذه المطبوعات .

ولقد أظهر الدكتور أبو شادي في هذه الاوبرات من القدرة على جمال الوضع وحسن النسق ودقة الاختيار وروعة المواقف ما يشهد له بالعبقرية الفائقة في هذا الميدان الذي تفرد به وحده حتى الآن .

في هذه الاوبرات الثلاث خيال وتاريخ وحقيقة : ففي الآلهة خيال سام ، وفي اخناتون تاريخ ومواعظ ، وفي بنت الصحراء حقيقة وعواطف .

ثمن كل نسخة ٥ قروش صاغ خلاف اجرة البريد ، فاطلبها من دار العصور ومن كل المكاتب المعروفة .



أصل الأنواع

ونشوئها بالانتخاب الطبيعي وحفظ الصفوف الغالبة في التناحر على البقاء

ألفه العلامة الكبير معلم القرن التاسع عشر

شارلس روبرت داروين

ونقله الى العربية وعلق حواشيه المستفيضة

اسماعيل مظهر

صاحب مجلة العصور ومحررها

يصدر في أجزاء متتالية عددها خمسة متساوية الحجم كل منها ثلاثة فصول من الاصل ماعدا ملحق بالتعليقات والشروح التي وضعها المترجم

ولا يخفى أن نزعة أكثر العلماء والفلاسفة متجهة اليوم الى تطبيق قواعد مذهب النشوء الاولية على فروع العلوم الحديثة وعلى فروع الفلسفتين العقلية والوصفية . لهذا يعتقد زعماء الحركة الفكرية في الغرب أن الوقوف على تفاصيل هذا المذهب الكبير أساس ضروري لتكوين أسلوب عقلي يوافق مجرى الفكر الانساني كما صبه فيه زعماء النشوئيين في أواخر القرن التاسع عشر . لهذا يجب على كل متعلم وعالم أن يقرأ هذا المذهب في منبته الأصلي أصل الأنواع . ذلك الكتاب الخالد الذي لايستغني عنه عقل مثقف على النمط الحديث .

ظهر منه جزآن ثمن كل منهما ١٥ قرشا صاغا بخلاف أجرة البريد

وسيظهر الجزء الثالث في مدى شهر واحد

أطلبه من دار العصور ومن المكاتب الشهيرة



THE CLINICIAN & THE LABORATORY

تأليف

الدكتور أحمد زكى أبو شادى

البكتريولوجى بمعامل الصحة الفنية بالقاهرة

يقع هذا التأليف القيم الجامع فى نحو ٩٠٠ صفحة ، منها زهاء مائة صفحة خاصة بملحقه التصويرى المشتمل على ٣٦٠ شكلا مطبوعة أجمل طبع على ورق صقيل لامع وقد تضمن متن الكتاب صفوة خبرة المؤلف فى أربعة عشر عاماً قضاها فى التخصص العلمى ، فضلا عن زبدة مطالعاته الكثيرة ومختار تلخيصاته وترجمته . والى جانب هذا يتضمن الكتاب عدداً من الفصول العلمية القيمة لطائفة من أطباء معامل مصلحة الصحة البارزين ، وفى مقدمتهم جناب مدير المعامل وحضرة وكيلها ، والدكتور أنيس أنسى بك رئيس القسم الباثولوجى فيها ، والدكتور على بك يحيى رئيس قسم الفكسين والدكتور لويس بك عوض رئيس قسم التطعيم وغيرهم . والكتاب مصدر بمقدمة للاستاذ الدكتور محمد خليل بك عبد الخالق (رئيس قسم الابحاث بمعامل الصحة وأستاذ علم الطفيليات بكلية الطب) تعريفاً بقدر الكتاب وبمباحثه القيمة التى تمتاز الى جانب الدقة العلمية بسهولة لغتها الأدبية المتينة .

وقد عنيت (دار العصور للطبع والنشر) باصداره خدمة للأدب العلمى ، ولأنه أول كتاب شامل من نوعه فى اللغة العربية رأت من أجل ذلك أن تقتصر على بيعه بثمن نفقاته فحددت ثمن النسخة خمسة عشر قرشا فقط (تضاف اليها أجرة البريد) حتى يعم انتشاره بين الأطباء الكلينيكيين وأطباء المراكز والمستشفيات فى العالم العربى على أن الكتاب ذو فائدة جزيلة لمحبى الاطلاع والعرفان العلمى وان لم يكونوا من زمرة الأطباء وخصوصاً لاساتذة المدارس ، فهو جدير إذن بأن لا تخلو منه مكتبة عصرية

اطلبه من دار العصور ومن كل المكاتب الشهيرة



الطبيب والمعمل

THE CLINICIAN & THE LABORATORY

تأليف

الدكتور أحمد زكي أبو شادي

البكتريولوجي بمعامل الصحة الفنية بالقاهرة

يقع هذا التأليف القيم الجامع في نحو ٩٠٠ صفحة ، منها زهاء مائة صفحة خاصة بملحقه التصويري المشتمل على ٣٦٠ شكلا مطبوعة أجمل طبع على ورق صقيل لامع وقد تضمن متن الكتاب صفوة خبرة المؤلف في أربعة عشر عاماً قضاها في التخصص العلمي ، فضلا عن زبدة مطالعاته الكثيرة ومختار تلخيصاته وترجمته . والى جانب هذا يتضمن الكتاب عدداً من الفصول العلمية الثمينة لطائفة من أطباء معامل مصلحة الصحة البارزين يتقدمهم جناب مدير المعامل وحضرة وكيلها ، والدكتور أنيس أنسي بك رئيس القسم الباثولوجي فيها ، والدكتور علي بك يحيى رئيس قسم الفكسين والدكتور لويس بك عوض رئيس قسم التطعيم وغيرهم . والكتاب مصدر بمقدمة للاستاذ الدكتور محمد خليل بك عبد الخالق (رئيس قسم الابحاث بمعامل الصحة وأستاذ علم الطفيليات بكلية الطب) تعريفاً بقدر الكتاب ومباحثه المفيدة التي تمتاز الى جانب الدقة العلمية بسهولة لغتها الأدبية المتينة .

وقد عنيت (دار العصور للطبع والنشر) باصداره خدمة للأدب العلمي ، ولأنه أول كتاب شامل من نوعه في اللغة العربية ورأت من أجل ذلك أن تقتصر على بيعه بثمن نفقاته فحددت ثمن النسخة خمسة عشر قرشا فقط (تضاف اليها أجرة البريد) حتى يعم انتشاره بين الأطباء الكلينيكيين وأطباء المراكز والمستشفيات في العالم العربي على أن الكتاب ذو فائدة جزيلة لمحبي الاطلاع والعرفان العلمي وان لم يكونوا من زمرة الأطباء ، وخصوصاً لاساتذة المدارس ، فهو جدير إذن بأن لا تخلو منه مكتبة عصرية

اطلبه من دار العصور ومن كل المكاتب الشهيرة



اخذت دار العصور للطبع والنشر فى القيام بهذه الخدمة الأدبية الكبرى باعادة طبع هذا الكتاب العظيم واقعاً فى ثمانية مجلدات ضخام كل منها فى حوالى ٤٠٠ صفحة من القطع الكبير على ورق جيد وفى احسن ثوب يمكن أن تسبغه المطابع على كتب الأدب

صدر منه للآن جزآن كبيران والثالث يظهر بعد اسبوعين مجلواً فى نفس الثوب الذى ظهر به الجزآن الاولان . وقد عنينا بتصحيحه عناية خاصة ووضعنا لكل جزء فهارس مستفيضة . ذلك عدا فهرس عام يلحق بآخر الجزء الثامن من الكتاب .

واذا اختارت دار العصور هذا الكتاب من بين الكتب القديمة فأنما اختارته لان الكتب التى وصلت الينا عن العرب ليس فيها من المبتكرات العلمية والأدبية الا ما احتوت عليه بضعة كتب كبيرة منها خزانة الأدب .

وتسهيلا لاقتنائه جعلنا ثمن الجزء الواحد منه ١٠ قروش صاغ وثمن النسخة الكاملة ٨٠ قرشاً صاغاً بخلاف أجرة البريد على رغم ما تبذل فيه من العناية وما تصرف فيه من جهد

أطلبه اليوم من دار العصور أو من أحدى المكاتب الكبيرة تقتصد من مالك وتكسب الأدب .

فهرست